مجلس عام مجلة كلية الآداب

# ندوة الأستاذ الدكتور
# السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامى و الحضارة الإسلامية
كلية الآداب- جامعة الإسكندرية

٥ نوفمبر ٢٠٠٧

٢٠٠٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# سيرة أوروبي في البلاط المملوكي:
# تغري بردي الترجمان
# و دوره في العلاقات المملوكية الأوروبية
# ١٤٨١ – ١٥١١م


دكتور إبراهيم سعيد فهيم محمود

أستاذ تاريخ وحضارة العصورالوسطى المساعد

قسم التاريخ والآثارالمصرية والإسلامية.

كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# سيرة أوروبي في البلاط المملوكي:

# تغـــري بـــردي التـــرجـــمان

# و دوره في العلاقات المملوكية الأوروبية

# ١٤٨١ – ١٥١١م


دكتور إبراهيم سعيد فهيم محمود

أستاذ تاريخ وحضارة العصور الوسطى المساعد

قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

مقـــــدمـــــة:

في خضم أحداث التاريخ المتلاحقة تتواري صفحات خلف صفحات. ومن عجب أن هذه الصفحات قد تتضمن أحداثا وأشخاصا حظوا بالأهمية في زمانهم، ولكن شاء قدرهم لاحقا أن يتزووا في ركن مظلم من كتاب التاريخ حتى كادوا أن يصبحوا نسيا منسيا. ومن ثم يأتي دور البحث التاريخي في محاولة لتحري هذه الأحداث واستنطاق هؤلاء الأشخاص بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية أو أقرب ما يكون منها.

والشخصية التي نعرض لها في هذا البحث هي خير مثال لما سبق قوله، فالبحث يتناول بالدراسة أحد المماليك الذين ترجع أصولهم لغرب أوروبا، ونعني به تغري بردي الترجمان الذي كان يوما ما أحد أفراد البلاط المملوكي، ثم أصبح واحدا من أهم صغار الأمراء المماليك في زمنه . وبالرغم من هذا فلم تشغل سيرته في المصادر العربية سوى بعض السطور المتباعدة في مصدر وحيد فقط دون غيره من المصادر العربية. إذ أنه لا يوجد له — فيما نعلم — سوي بضعة اشارات عند معاصره ابن إياس في مؤلفه "بدائع الزهور في وقائع الدهور". كذلك فهذه الإشارات لا تمدنا إلا بمعلومات تتعلق بالسنوات العشر الأخيرة من نشاط وعلاقة تغري بردي بالبلاط المملوكي، على الرغم من أن عمله بالبلاط قد استمر لما يزيد عن الثلاثين عاما .

ولعل ذلك كان السبب في ندرة الدراسات الحديثة عن هذا الرجل. إذ لم نجد أية دراسة عربية أو غربية تناولت سيرته بشكل كامل، مع ضرورة الإشارة لدراستين هامتين - أفدنا منهما بشكل كبير - لجون وانسبرو John Wansbrough اختصت أولهما بألقاب تغري بردي



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلاقته بالبندقية وسفارته إليها عام ١٥٠٦م، وثانيهما بأمان منحه لتجار فلورنسا بتفويض من السلطان أثناء تلك السفارة، فضلا عن دراستين أحرتين احدهما لإتين كومب E.Comb، والأخرى للدكتور حسين مؤنس تعلقتا بدور تغري بردي في سفارة الإسباني بدرو مارتير دانجلاريا إلى السلطان الغوري سنة ١٥٠١-١٥٠٢م.

ولهذا، فقد جهدنا في تقفي آثار هذا الرجل الذي كان يوما ما ملء الأسماع والأبصار داخل وخارج مصر — كما سيتضح لاحقا من البحث — في ثنايا المصادر الأوروبية علها تعوضنا عن القصور الشديد فيما يتصل به في المصادر العربية. فكانت النتيجة البحث الذي بين أيدينا اليوم الذي يتناول أصل ذلك الأوروبي، وبعض جوانب الحياة الإجتماعية والوظيفية والدبلوماسية لهذا الرجل الذي قدر له أن يحيا حياة حافلة، وأن يكون شاهد عيان بل وأحد صناع الأحداث قرابة ثلاثين عاما في مرحلة من أحرج المراحل في تاريخ الدولة المملوكية وتحديدا الفترة الممتدة ما بين عامي ١٤٨١— ١٥١١م. كما يستعرض البحث كيف جاءت نهاية هذا الأمير مأساوية — كنهاية الدولة التي خدمها — على الرغم من كل جهوده التي بذلها للتمكين لنفسه طوال هذه السنوات.

أصلـه ونسبـه:

لا يُعرف أصل ونشأة تغري بردي بشكل واضح تماما؛ ومرجع ذلك لعدم تناول المصادر العربية لهذا الأمر، وإختلاف المصادر الأوروبية المعاصرة له في شأنه. وإن كان بالإمكان تقسيم هذه المصادر إلى مجموعتين، قالت إحداهما بكونه من أصل أسباني، في حين ذهبت الأخرى إلى أنه من أصل إيطالي.



وفيما يتصل بالإتجاه الأول ذكر الأسباني ميشولم بن مناحيم Meshullam Ben R . Menahem — وهو أول من أشار لتغري بردي — سنة ١٤٨١م أنه "ينحدر من أصل يهودي أسباني، ونتيجة للإضطهاد الذي تعرض له هناك، ولكي يصبح حرا فقد تحول إلى الإسلام"[1].

وأيد البلجيكي جوس فان جيستيل Joos van Ghistele سنة ١٤٨٢م ما ذكره ميشولم من كونه أسبانياً ولد في مدينة فالنسيا Valence، إلا أنه يختلف عنه في القول بأنه كان مسيحيا تحول للإسلام[2].

وفي العام التالي أشار إليه الألماني برنارد فون برايدنباخ على أنه يهودي المولد، ثم عُمد للمسيحية، ومن بعدها تحول للإسلام وأصبح مملوكا. وزاد السلطان من مسئولياته، وأصبح صاحب قوة عظيمة وثراء كبير بفضل أموال اليهود والمسيحيين الذين أصبح حاميا ومرشدا لهم، والذي كان يعرف كيف يسلبهم إياها بكل الطرق الصحيحة وغير الصحيحة، وبكل الحيل والخدع[3].

وأضاف بدرو مارتير دانجلاريا سنة ١٥٠٢م أنه عندما قابل تغري بردي أثناء سفارته سأله عن أصوله فقص عليه الأخير أنه كان مسيحيا من مدينة فالنسيا، وأن والده المولود في مدينة مونبلانش Monblanch كان يسمى لويس دو برات Lois de Prat، وأنه (يعني تغري بردي) كان يعمل بحارا في

(1) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, in. Jewish Travellers, edited with introduction by. Elkan Nathan Adler, second edition with a preface by Cecile Roth, New York, 1966, pp. 167.

(2) Joos van Ghistele, Voyage en Egypte de Joos van Ghistele 1482–3, traduction introduction et notes de Renée Bauwens–Préaux, Publication de l' Institut Français d' Archéologie Orientale du Caire, 1976, p. 17.

(3) Bernard de Breydenbach, Les Saintes Pérégrinations de Bernard de Breydenbach (1483), Texte et Traduction annotée par le Père F. Larrivaz S. J. Extraits relatifs à l' Égypte suivant l' edition de 1490, Le Caire, 1904, p. 46.

شابه فضربت السفينة التي يعمل عليها عاصفة فدفعت بها إلى شواطئ مصر فتلقفه القراصنة حيث بيع كعبد في مصر. ثم تم وضعه في السجن لمدة ثلاثة أعوام، أجبر خلالها على التخلي عن دينه، والتحول إلى الإسلام تحت اسم تغري بردي. وأنه بفضل امكانياته وحسن توجهه، حصل على مركز عال، وأنه الآن واحدا من نبلاء السلطان، وأنه يحصل على مابين سنة إلى ثمانية آلاف دينار أشرفي ذهبي في العام[٤]. وفي رواية أخري يقول عنه " الترجمان الذي لايزال يتذكر العادات الإسبانية El Trucimán que todavia recordaba las costumbres españolas"[٥].

ويتفق معهم الألماني مارتن بومجارتن Martin Baumgarten حين ذكر سنة ١٥٠٧م أنه أي تغري بردي أسباني المولد، ولكنه يزيد بقوله أنه كان يعمل شماسا في احدى كنائس بلده قبل أن يصبح مملوك[٦].

كذلك جاء في واحدة من وثيقتين دونتا في أرشيف دولة أراجون بتاريخ السابع والثامن من أغسطس سنة ١٥٠١م، ووجها إلى تغري بردي، جاءت عبارة "ولأنك تنحدر من ممالكنا فأنت تهتم برعايانا المسيحيين"[٧].

(٤) Pedro Mártir de Angleria, Una Embajada de los Reyes Católicos a Egipto ( Segū la " Legatio Babylonica " y el " Opus Epistolarum " de Pedro Mártir de Angleria ) . Traducción, Prologo y notas de Luis García y García, Valladolid, 1947, pp 92, 94. Cf. also: Etienne Comb, Pierre Martyre d'Anghiera et le Drogman du Sultan Ghauri (1502), dans. Bulletin de faculté des Lettres, Université d' Alexandrie, tome. ii, 1944, p. 108.

وانظر كذلك حسين مؤنس: سفارة بدرو مارتير دانجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين إلى السلطان الغوري (ديسمبر ١٥٠١- فبراير ١٥٠٢)، بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج١، القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م، ص ٤٦٠- ٤٦١.

(٥) Pedro Martir de Angleria, Op Cit., p. 182.

(٦) Martin Baumgarten, The Travels of Martin Baumgartin a Nobleman of Germany through Egypt, Arabia, Palestine and Syria in Three Books , N. D, p. 396.

(٧) الوثيقتان منشورتان برقم (٣) و (٤) في المقالة التالية



أما المؤرخ البندقي مارينو سانوتو فقد قال عنه وهذا التغري بردي إسباني، وهو رجل fedolo وسن، وgran inzengno di، ... di anni، وترجمان السلطان[٨].

لوحة رقم (١)

صفحة مخطوط مكتوبة بخط يد المؤرخ البندقي مارينو سانوتو

=Antonio De La Torre, La embajada a Egipto de Pedro Mártin de Angelería, in: Homenatge a Antoni Rubio i Lluch. Miscelánia d' Estudis Literaris Historics Linguistics, Barcelona, 1936, pp. 449-50.

(٨) Marino Sanuto , I diarii di Marino Sanudo . ed. R. Fulin, 58 Vols. Venice 1879-1901 tom. vi p. 420



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وضمت المجموعة الثانية من المصادر إلى كون تغري بردي إيطالي الأصل. ففي خطاب صادر من البندقية في أكتوبر سنة ١٤٨٣م على لسان صانع بلجيكي من مدينة مالينس Malinnes يدعى فرانسوا François، كان يقيم في القاهرة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أن تغري بردي "يهودي المولد من صقلية وصبح رسميا. ثم تحول للمسيحية وتردد على المدارس ليصبح أستاذا للغة اللاتينية. كما تعلم العلوم اللاهوتية وانضم فترة للجماعات الرهبانية ثم تركها وتحول بعد ذلك للإسلام. حيث تم تلقيه في بلاط السلطان ليصبح ثريا ومملوكا قويا"[٩]. في حين قال عنه الرحالة الألماني أرنولد فون هارف Arnold von Harff سنة ١٤٩٦م أنه مملوك جنوي الأصل تحول للإسلام[١٠].

أما العبارة الوحيدة التي وصلت إلينا بخط يد تغري بردي فقد كانت بالإيطالية ضمن إتفاقية التجارة الموقعة بين السلطان الغوري والبندقية ومصر، وجاء فحواها على النحو التالي

**Io Tengreberdi horator [del] Serenissimo Signor Soldan prometto per nome di suo Serenissimo Signor Soldan che tuti soprascritti capitoli serano mantenuti et hobservati in tuto e per tuto et perche e la verita fazo questa sotoscritta de la mano mia propria, a di 31 mazo 1507 in Venexia .**

(٩) Felix fabri, Le Voyage en Egypte de Felix Fabri, 1483, traduit du Latin et de l'Allemand par le R. P. Jacques Masson S. J. et Gisèle Hurseaux, presenté et annoté par le R. P. Jacques Masson S. J., Publication de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, 1975, pp. 401-2.

(١٠) Arnold von Harff, The Pilgrimage of Arnold von Harff, Knight, from Cologne, through Italy, Syria, Egypt, Arabia, Ethiopia, Turky, France, and Spain, Which he Accomplished in the Year 1496 to 1499, translated from the German and edited with notes and an introduction by Malcolm Lettes, F. S. A., London, 1946, p. 102.



"أما تغري بردي سفير السلطان الأمجد، أعده باسمه بالمحافظة على النصوص المدونة عاليه والتقيد بها تمتهي الاحترام وبكل وسيلة، وكشاهد على صحتها أضع توقيعي عليها بخط يدي في الحادي والثلاثين من مايو سنة ١٥٠٧م بمدينة البندقية"[١١]. وبذلك لم يذكر تغري بردي عن نفسه سوى أنه سفير سلطان مصر ولم يرد

أما شاهدا المعاهدة من الجانب المملوكي فقد تضمنت اضافتهم الوحيدة في نسبته بابن عبد الله إذ أشارا إليه بأنه "الجناب العالي الأميري الكبيري تغري بردي بن عبد الله الترجمان وأحد الأمراء بالديار المصرية وقاصد المقام الشريف نصره الله تعالى إلى صاحب البندقية الدوج الواضع خطه أعلاه وأنه صدق على صحة ماعين أعلاه"[١٢].

وهكذا تتباين الروايات في أصل ونشأة تغري بردي، ولكنها تكاد تتفق جميعا على كونه من أصل أسباني أو إيطالي. ومما يسعرب له أن جميع من وصفوه قدر لهم أن يروه عن قرب، بل وعايشوه بعض الوقت، ومع ذلك لم يستطع أي منهم سبر أغواره واستطاقه عن حقيقة أصله. ولعل هذا يكشف عن جانب من شخصيته الحذرة التي لا يزال الغموض يكتنفها حتى الآن.

اسمه وألقابه:

تعددت الكيفية التي دُون بها اسم تغري بردي الترجمان في المصادر الأوروبية. فقد أسماه ميشولم بن مكاحيم مرة باسم ساحري قاردي

(١١) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador to Venice in 913 / 1507, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. xxvi, part. 3, 1963, pp. 524, 530.

(١٢) Ibid, pp. 524-5.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Sagri Vardi، ومرة أخرى باسم تاجري فاردي Tagri Vardi[13]. في حين أطلق عليه جوس فان جيستيل إسم أنتول جفردين Antale Gaverdyn[14]. بينما أشار إليه فيلكس فابري تارة باسم تانكرديوس Tanquardinus[15]، وثانية باسم تانجردين Tanguardin[16]. في الوقت الذي سماه فيه جورج لونجيرا Georges Lengherand باسم جفاردين Gavardin[17]. وذكره بدرو مارتير دانجلاريا باسم تانجرياردينو Tangaribardino[18]. أما مارتين بوجارتين فقد أسماه تونجوباردين Tongobardin[19]. وأطلقت عليه الوثائق البندقية مسميات عدة فهو تانجريفردم Tangriverdim[20]. أما هو فقد دون إسمه بخط يده بالإيطالية باسم تنجريبردي Tengreberdi[21].

أما المصدر العربي الوحيد الذي بحوزتنا وورد به ذكره فهو مصنف ابن إياس "بدائع الزهور في وقائع الدهور" الذي ذكره لأول مرة سنة ٩٠٨هـ /

(13) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, Op. Cit., p. 166.
(14) Joos van Ghistele, Op. Cit., p. 17.
(15) Felix Fabri, The book of the Wanderings of Brother Flix Fabri, in Palestine Pilgrim
s Text Society, vols 7–10, reprinted from the edition of 1887–1897, U. S. A, 1971, vol.
ix, p. 148.
(16) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 366– 8.
(17) George Lengherand , Voyage de Georges Lengherand Mayeur de Mons en Haynaut,
Venise, Rome, Jérusalem, Mont Sinaï & Le Kayre, 1485-1486, avec Introduction,
Notes, Glossaire, par. Le Marquis de Godefroy Ménilglaise, Mons, 1861, p. 179 .
(18) Pedro Mártir de Angleria, Op Cit ., pp 94 FF
(19) Martin Baumgarten, Op. Cit ., p . 386 .
(20) Marino Sanuto , Op. Cit ., vol . ii , pp . 614 – 5 .
(21) John Wansbrough , A Mamluk Ambassador , p . 524 .



١٥٠٢م، بأنه تغري بردي الترجمان[22]. وهكذا لم يضف إليه أي ألقاب باستثناء النسبة لوظيفته .

وبالرغم من قصور المصادر العربية في هذا الشأن وغيره بالنسبة لتغري بردي إلا أن المصادر والوثائق الأوروبية حفظت لنا العديد من النماذج عن اسمه وألقابه باللغتين العربية والإيطالية. ففي إيصال بالعربية — بتاريخ السادس من ذي الحجة ٨٩٥ هـ/ الحادي والعشرين من أكتوبر ١٤٩٠م — خاص بتسديد البندقية لجزية جزيرة قبرص للسلطان المملوكي وُصف بأنه "الجناب العالي الأميري الكبيري السيفي تغري بردي الترجمان"[23] —

وأشير إليه في معاهدة التجارة المملوكية البندقية المؤرخة بالثامن عشر من المحرم سنة ٩١٣هـ/ الحادي والثلاثين من مايو سنة ١٥٠٧م بأنه "الجناب العالي الأميري الكبيري تغري بردي بن عبد الله الترجمان وأحد الأمراء بالديار المصرية" [24].

(22) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الجزء الرابع من سنة ٩٠٦ — ٩٢١هـ / ١٥٠١ — ١٥١٥م، القاهرة ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م، ص ٣٢.
(23) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 506.
(24) وردت ألقاب تغري بردي هذه ضمن توقيع الشاهدين على بنود هذه المعاهدة . ويقول أول الشاهدين "أشهدني عليه الجناب العالي الأميري الكبيري تغري بردي الترجمان واحد الأمرا بالديار المصرية وقاصد المقام الشريف نصره الله تعالى إلى صاحب البندقية توقيع خطه أعلاه والله صدق على صحة ماعين اعلاه بالفصول بتاريخ ثامن عشر المحرم الحرام سنة ثلاث عشر وتسعمائة" وكتب ثانية "حرره من محمد عبد الحميد الخوشي العمي الأزهري" في حين جاء توقيع الشاهد الثاني على النحو التالي " أشهدني عليه الجناب العالي الأميري الكبيري تغري بردي الترجمان واحد الأمرا بالديار المصرية وقاصد المقام الشريف نصره الله تعالى إلى صاحب البندقية توقيع خطه أعلاه بالفرنجي والله صدق على صحة ماعين اعلاه بالفصول بتاريخ ثامن عشر المحرم الحرام سنة ثلاث عشر وتسعمائة كتبه أحمد محمد الحنفي" وهذه الوثيقة مؤرخة بتاريخ الحادي والثلاثين من مايو سنة ١٥٠٧م/ الثامن عشر من محرم سنة ٩١٣هـ وتحفظ بالبندقية في أرشيف الدولة Archivio di Stato، ضمن مجموعات المراسيم الدبلوماسية والخاصة Miscellanea di Atti Diplomatici e Privati، برقم ١٥٧٦ وهي معروضة منذ سنة ١٩٠٥م في المعرض الخاص بالصالة الدبلوماسية للملكة مارجريتا Sala Diplomatica Regina Margherita برقم ١ ضمن

ووصفه أمان من السلطان قصوة الغوري لتجار جمهورية فلورنسا في الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة ٩١٣هـ/التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٥٠٧م بأنه "المجلس السامي الأميري الكبيري العضدي الذخري الأوحدي الأكملي السيفي تغري بردي الترجمان" (٢٥).

وجاء ذكره في خطاب آخر للسلطان للغوري إلى أندريا بوندمير Andrea Bondimier قائد شانية بندقية على أنه "الأميري الكبيري الذخري الأكملي السيفي تغري بردي الترجمان"

وفي خطاب ثالث للغوري وجهه إلى جمهورية فلورنسا في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٩١٥هـ/ الثاني من يوليو سنة ١٥٠٩م، وُصف بأنه "المجلس العالي الأميري الكبيري المجاهدي المؤيدي الذخري النصري الأوحدي الأكملي الأعزي الأخصي السيفي عمدة الملوك والسلاطين تغري بردي أحد أعيان أمراء العشرات بالديار المصرية و الترجمان بأبوابنا الشريفة " (٢٦).

---

=المحفوظة LXXXII وقد قام جون وانسبرو بنشر صورة من هذه المعاهدة والتوقيعات عليها في لوحين بين صفحتي ٥١٢ـ ٥١٣ في مقاله عن سفارة تغري بردي إلى البندقية. انظر:

John Wansbrough , Op . Cit ., pp . 506 , 512 , 513 , 518 , 524 , 525 .

وانظر كذلك صورة هذين التوقيعين ضمن اللوحة رقم ١٢ بالبحث .

(٢٥) نشر ميخائيل أماري نص هذا الخطاب ضمن الوثائق التي نشرها بعنوان الوثائق العربية في أرشيف فلورنسا تحت رقم الوثيقة ٨١. والواقع أنه لم يتاح لنا الرجوع إليها في تلك السحة، وإنما أمكننا الرجوع إليها بقلاعته في مقالة جون وانسبرو هذا الخصوص انظر

Michele Amari, I Diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino. Testo originale con la traduzione letterale e illustrazione di M. Amari, 2 parts, Firenze, 1863, 1867, part 1, doc. No.81, pp. 218-20. Cf. also: Jhon Wansbrough, The Safe - Conduct in Muslim Chancery Practis, in. Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. 34 , no. 1, 1971, pp. 23 – 4.

(٢٦) John Wansbrough, Op. Cit., p. 506.



كذلك ذُكر في خطاب آخر أرسله الغوري إلى جمهورية البندقية في الخامس والعشرين من المحرم سنة ٩١٦هـ/ الرابع من مايو سنة ١٥١٠م، بأنه "الأميري الكبيري الأوحدي الأكملي، النصري الأعزي خاصتنا الأخصي، السيفي عمدة الملوك والسلاطين تغري بردي، أحد أمراء العشرات بالديار، الترجمان بأبوابنا الشريفة" (٢٧). وإن كان مارينو سانوتو قد أشار إليه على أنه أمير أربعين حربة(٢٨).

يظهر مما سبق أن اسم العلم الوحيد الذي جاء عنه في الوثائق هو تغري بردي منسوبا إلى ابن عبد الله، والباقي ألقاب له. ولقد كان اسم تغري بردي Tengri Verdi أو Tenri Verdi اسما تركيا شائعا للمماليك يعني "أعطي يا الله"(٢٩). ومن الملاحظ أن تغري بردي الترجمان عندما كتب اسمه بالحروف اللاتينية كتبه مثلما ينطق بالتركية مما يشير إلى معرفته بهذه اللغة. أما ابن عبد الله فهو نسب مألوف للمماليك المتحولين إلى الإسلام الذين لا تكون أسماء آبائهم إسلامية (٣٠).

وفيما يختص بالألقاب التي حملها تغري بردي فقد قام جون وانسبرو بتحليلها في مقاله عن تغري بردي ـــ الذي جاء كله عن ألقابه وسفارته للبندقية سنة ١٥٠٧م، والمعاهدة التي تمخضت عنها تلك السفارة ـــ وأوضح أنها ألقاب تتصل برجال البلاط وفقا لمكانة حاملها. فلقب المجلس أو الجناب المضاف إليه العالي أو السامي، هو لقب يوظف للأمراء الصغار. أما لقب

---

(27) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, pp. 506 - 7.

(28) Marino Sanuto, Op. Cit., vol vi p 420.

(٢٩) سعد زغلول عبد الحميد: الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد العاشر، ١٩٥٦م، ص ٨٠ – ٨١.

(30) John Wansbrough. A Mamluk Ambassador, p. 507.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأسود الكبير Armiragio e grandissimo أو Armirglio grandissimo فهو شائع للأمراء الصغار. وبالنسبة للألقاب العسكري العسكري الوحيد فلوفيا دائما ما تخلط للأمراء الكبار. أما الأخرى فوصف ها أي أمير. وهما يتصل بألقاب الدخري fidado أو favorado. الأخرى unito أو unido . الأكملي compito أو compido. فالدخري إشارة ذات علاقة للقب المرتبة ذخر الملة. أما الأخرى فيستخدم لمساح الحضر وهو لقب السفي spadier أو spadatier. فهي سنة قد تكون ذات صلة بلقب سيف الدين ، وهو لقب شائع للمماليك. وكذلك يمكن إرجاعها إلى السلطان قايتباي الذي كان يلقب بسيف الدين، وربما كان في ذلك إشارة إلى أن تعري بردي الترجمان قد أعتق من قبله.

ولعل لقب الحضري يرتبط بلقب ناصر الملة. أما لقب الأخرى فهو نسبة من العربر . في حين ارتبط لقب الأحمي بعصبوية الحامكية ، ووضح لقب أحد أمراء العشرات بالديار القاهرية armirajo un del numero di x lanze in la terra del Cayero نفسه في تلك المرتبة من قبل السلاطين المماليك وهو لقب إعداد الملوك والسلاطين clonna dei Rei , di Soldani، فهو يستخدم للأمراء الصغار. وآخر ما لفت إليه من ألقاب الأ وهو الترجمان لأبواب المقدسة والشريفة turziman de nostra Porta Sancta e seraphi، إنما يعبر عن الوظيفة الرئيسة التي كان يشغلها ويضيف والسرو أن المدائح التي حفظت عن ألقاب تعري بردي لم تعد الجنود الموصولة لأمير مملوكي مرتبط بالبلاط، ولكنها كانت في الوقت نف

مقصودة للتأثير بقوة في ممثلي القوى الأوروبية التي كان تعري بردي يتفاوض معها، وله ها علاقات دبلوماسية[٣١]

حياته الاجتماعية:

كان تعري بردي سنة ١٤٨٣م متزوجا من زوجتين مسيحيتين وصفتا كلتاهما بالصغر والجمال. ولقد ذُكر أن أكبرهما وكانت زوجته الرئيسة وسيدة البيت كانت إيطالية كاثوليكية مولودة لأبوين إيطاليين، وأنها كانت تتحدث الإيطالية واللاتينية. وأن تعري بردي تعرف عليها في الإسكندرية حيث كانت تعمل في أحد الأماكن سنة السبعة ثم تزوجها. أما الثانية فكانت يونانية مولودة لأبوين مسيحيين، ولقد اشتراها وهي طفلة من اليونان، وتزوجها عندما وصلت سن المراهقة. وكانت كلتاهما محاطة بالحواري متألقات بأصلهما وتنشئتهما الأوروبية كما يتضح من تسليتهما بأشغال الإبرة، ومن تعرفاهما التي سنتم الإشارة إليها لاحقا[٣٢]. مع ضرورة الإشارة إلى أن برنارد فون برايباخ قد ذكر أنهما كانتا كاثوليكيتين[٣٣].

ويتحدث أرنولد فون هارف عن تعري بردي سنة ١٤٩٧م، فيقول أنه كان متزوجا من أربع زوجات شرعيات كن يقمن كلهن في قصره[٣٤]. في الوقت الذي أشار فيه مارتن بوخارتن أن عدد زوجاته يبلغن خمسة وثلاثين. ومن المؤكد أن بعضهن كن زوجات له، أما البقية فكن ممن ملكت أيمانه أو جواريه ولكن مارتن بوخارتن كان لا يفرق بينهم. ويضيف مارتن بوخارتن أن استقباله جميعا بنوع غريب من الغناء والأصوات (لعلها الزغاريد)

(٣١) Ibid., pp. 507 - 508.
(٣٢) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 407- 8, 411 - 2.
(٣٣) Bernard de Breydenbach, Op. Cit., p. 62.
(٣٤) Arnold von Harff, Op. Cit., p. 102.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرحات وفرحات بعودته للقصره بعد رجوعه من ايطاليا سنة ١٥٠٧م، عقب سفارة له هناك. وأضاف أنه جلس مع جميع نسائه، سواء اللاتي رافقنه في هذه الرحلة، أو اللاتي بقين في قصره منتظرات لعودته. حيث قدمن على الفور لتحيته والترحيب بقدومه. وذلك على بساط في فناء المنزل. وجدير بالذكر أنه كان يحيط بفناء هذا القصر غرف كثيرة — كما سنعرض في السطور التالية — أقام مارتن بومجارتن ورفقته في واحدة منها أمكنه من خلالها رؤية هذا المشهد وغيره مما كان يحدث في قصر تغري بردي الترجمان[٣٥].

ولقد أثمرت زيجات تغري بردي عن إنجابه للعديد من الأبناء، ولكننا لا نعرف عددهم أو إن كانوا من الذكور أو من الإناث أم من الجنسين معا، فكل ما نعرفه عنهم جاء في إطار جملة عابرة وردت عند ابن إياس عن أنه "رُسم على عياله" أي قبض على أولاده أثناء محنة تعرض لها تغري بردي في آخر سنوات حكمه بالبلاط المملوكي كما سنرى لاحقا[٣٦].

ولقد عُرف عن تغري بردي حبه للموسيقى وآلاتها، وسهره بعض لياليه في صحبة الأجانب المقيمين بقصره ممن كانوا يجيدون العزف على هذا النوع من الآلات الغربية. مثلما حدث سنة ١٤٨٣م عندما دعا لقصره أحد الألمان وهو حلاق ألماني يدعى كونراد Conrad يجيد العزف على القيثارة والعود والآلات الوترية وكان معه كمان لكي يعزف له. فقد كان تغري بردي عاشقا لكل هذه الآلات[٣٧]. فضلا عن حبه للتسلية وسمره لياليَ أخرى مستمتعا بالرقص والغناء في فناء قصره، ومشاركة بعض نسائه له في الغناء

(٣٥) Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 396.

(٣٦) ابن إياس، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٠٩ — ٢١٠.

(٣٧) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 367-8, Bernard de Breydenbach, Op. Cit., p



وكان هذا الرقص والغناء يبدأن إزعاجا للأوروبيين الذين أقاموا في قصره في بعض الأوقات ويحرمهم من النوم[٣٨].

ويبدو أن تغري بردي كان متأثرا بنشأته الأوروبية، فقد كان — وفقا لروايات الأوروبيين — لا يتحرج من أن يُظهر زوجاته وهن في غرفة نومه[٣٩]، والرقص والغناء معهن، وارتداء ملابس والإتيان بحركات وُصفت بالشهوانية والشيطانية أمام المقيمين في قصره من الأجانب. ولقد أورد الألماني فيلكس فابري هذا الشأن ما نصه: "وفي أحد ليالي رمضان وبمجرد ما أن أغلقنا أعيننا بدأ المسلمون يقومون بأعمال جنونية في المنزل، والتجول فيه محدثين ضجة عظيمة بالغناء والآلات الموسيقية. وكان الترجمان تغري بردي سعيدا أكثر من المعتاد، ولقد أتى ومعه زوجتيه إلى مكان إقامتنا حيث كنا نيام، وأخذوا يغنون أمامنا في جماعة. ولقد ظهروا أمامنا بملابسهم الشهوانية وهم يتضاحكون ويجتهدون بأسلوب شيطاني ليحيوا فينا شهواتنا الجسدية بسحرهم. ولقد كانت السيدتان مارتان، ولولا حوفيهما من تغري بردي — أكثر من الخشمة — لكانا قد قامتا بأعمال تتنافى مع الخشمة، وتتسم بالفسق، ولقد أمضينا الليلة هكذا"[٤٠].

وذكر برنارد فون برايدنباخ الذي كان يقيم مع فيلكس فابري في قصر تغري بردي في نفس الوقت نصا مماثلا عن نفس السلوك ذكر فيه أنه "في المساء، وفي الساعة التي كانت تبدأ فيها ولائم وشطط المسلمين، دخلت فجأة كل غانية مضيفنا في حالة جنونية من الغناء والرقص وعزف الآلات الموسيقية،

(٣٨) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 401, 434-435.
(٣٩) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, p. 411; Bernard de Breydenbach, Op. Cit.,
(٤٠) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 434 – 5.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقام السيد مصحوبا بزوجتيه اللتين كانتا ترتديان كيهاوتين، ومعه الخطيات والعبيد بالدوران حول أسرتنا، ومعهم المشاعل المضاءة من أجل الضحك والتسلية عليا»[٤١].

واستمر هذا النمط السلوكي لتغري بردي على مر السنوات فقد ذكر الألماني إمارتن بوخمارتن رواية مشابهة للروايتين السابقتين إذ يقول "وفي اليوم الأول من أكتوبر (١٥٠٧م) أرسل تغري بردي إلينا لكي نأتي إليه لإلقاء نظرة على منزله، والفخامة التي يحياها. وبمجرد دخولنا غرفة مقابلاته، قدم إليه رجل عظيم يسمونه أمير يرغب في التحدث إليه، وإزاء ذلك ومخافة أن يشك الأمير فيه لتحدثه مع الأوروبيين أمرنا بأن نذهب إلى حديقة لطيفة حيث بقينا بها على نحو ستة لحين ذهاب الأمير. وفي المساء استدعانا تغري بردي واصطحبني ورفقتي واثنين من الفرانسيسكان إلى مبنى حريمه حيث أمرنا بالجلوس بعد أن جلس هو وزوجاته الخمس وثلاثين حوله، وكل منهن تتنافس بقوة لامتاعه وتسليته. وكانت كل أرضية الغرفة مغطاة بسجاد حريري للطبقات العليا والوسطى والدنيا وأحيانا كان يلهو مع واحدة من نسائه، ثم مع أخرى، ثم كان يجادل بأنه ليست هناك حياة في العالم أكثر مجدا أو سعادة من حياته التي يتمتع بها، ولقد التزم رجال الدين وأنا الصمت خلال ذلك. وكانت رائحة أدهان وعطور النساء طيبة للغاية، وكانت اللحوم المتعرقة والمشروبات التي قُدمت لنا جميلة للغاية ونادرة جدا، لدرجة أنه لا يمكن تخيل شئ يفوقها في نوعها . ولقد وعدنا بأن يسلينا في اليوم التالي ببعض العروض الرائعة، ثم سمح لنا بالانصراف، فقد كان الوقت وقت النوم»[٤٢].

(٤١) Bernard de Breydenbach, Op. Cit., p.50.
(٤٢) Martin Baumgarten, Op. Cit., pp. 397–8.



هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان تغري بردي يسمح لزوجتيه — المشار إليهما آنفا — بحضور القداس مع المسيحيين الأوروبيين الذين كانوا يقيمون لبعض الوقت في قصره[٤٣].

وبرغم ذلك السلوك المتحرر لتغري بردي فلم يكن يتورع عن ضرب نسائه وتهديدهن بالطلاق، إذ سُمعت إحداهن وهي تبكي وتنتحب في صراخ عظيم، متوسلة إليه أن يتوقف عن ضربها[٤٤].

ووجد قصر تغري بردي داخل أسوار مدينة القاهرة[٤٥] وتميز كما جاء في العديد من الروايات باتساعه وفخامته، فلقد تحدث عنه برنارد فون برايدنباخ بقوله أنه قصر رائع مزين بالرسوم والبُسط. ووصفه بدرو مارتير دانجلاريا بأنه يشبه النُزل hospedaje وأنه ملاصق لأسوار المدينة[٤٦].

وسمح تغري بردي لبعض الأوروبيين بالتجول في قصره، كما رافقهم أحيانا في جولات لتفقده، ولقد حفظت كتاباتهم بهذا الشأن بعض تفاصيل قصره، فضلا عن بعض جوانب حياته الإجتماعية التي ليس بالإمكان معرفتها إلا من خلال تلك الروايات. وفي هذا الصدد ذكر فيلكس فابري أن غرفة نومه كانت جميلة جدا مزينة بالرخام، ويغطي السجاد الفاخر أرضيتها وحوائطها. وكانت هذه الغرفة توجد في البرج الوحيد المشيد بالقصر. وتميز هذا البرج باستدارته وكونه مُغطى بقبة من الرصاص، كما زُين على كامل هذه الاستدارة بنوافذ زجاجية كان الضوء ينفذ من خلالها إلى غرفة النوم.

(٤٣) Félix Fabri le Voyage en Egypte, p. 578; Bernard de Breydenbach, Op. Cit. p.62.
(٤٤) Félix Fabri le Voyage en Egypte, pp. 516–7.
(٤٥) Pedro Mártir de Angleria, Op., Cit. p. 96.
(٤٦) Bernard de Breydenbach, Op. Cit. p. 46; Pedro Mártir de Angleria, Op. Cit.



CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

ويضيف برنارد فون برايدنباخ أن أثاث القصر كان ثمينا، وانه احتوى كذلك على الكثير من الأسلحة والمذكرات الخاصة بتغري بردي[47].

وفي قصر تغري بردي وُجدت اسطبلات للخيل وُصفت بالروعة، ومخزن مملوء بتجهيزات الخيول والعمال. وشاهد به الأوروبيون سروجا مرصعة بالذهب والفضة، وسيور وأحزمة سروج، وركاب خيل من الفضة، وأخمة مرصعة بالفضة على عادة أفخم خيل السلاء[48]. وأشار ابن إياس بدوره لهذه الخيول وأنها صودرت من السلطان الغوري عقب القبض على تغري بردي في المحرم من سنة ٩١٧هـ[49] كما سنعرض بآخر البحث.

واحتوى فناء القصر على أماكن خُصصت لطيور وحيوانات برية كالسباعات والنعام والقيهود. فضلا عن هذا، كان تغري بردي يُحضر لقصره بعض حيوانات القصر السلطاني كالزراف والأسود والدببة والقرود ليشاهدها الأجانب الذين يقيمون بقصره[50].

وظائفه:

لا يعرف على وجه التحديد التاريخ الذي التحق فيه تغري بردي بخدمة سلاطين المماليك غير أن أول إشارة إليه — في المصادر المتاحة لدينا — جاءت على لسان ميشولم بن مناحيم الذي زار مصر سنة ١٤٨١م، وذكر عنه أنه الترجمان الرئيسي للسلطان الأشرف قايتباي[51]. تلاه البلجيكي جوس فان حيسيل في العام التالي (١٤٨٢م)، بقوله أنه الترجمان الأعظم للسلطان[52]. في الوقت الذي وصفه الألماني فيلكس فابري سنة ١٤٨٣م، بأنه ترجمان المسيحيين في القاهرة[53]. وكذلك وصفه المؤرخ السندقي مارينو سانوتو بترجمان السلطان سنة ١٥٠٧م[54].

ينضح من ذلك أن أولى الوظائف التي شغلها تغري بردي في البلاط المملوكي وأشارت إليها المصادر كان منصب كبير تراجمة السلطان الأشرف قايتباي غير أنه من المرجح لدينا أنه كان يشغل وظيفة أقل أهمية أو على الأقل وظيفة أحد التراجمة في البلاط المملوكي فأظهر قدرات كبيرة دفعت السلطان الأشرف قايتباي لتعيينه في منصب الترجمان الأكبر له ، بيد أنه مما يأسف له كون المصادر قد ضنت علينا بأي معلومات عن سيرته بمصر قبل

(47) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 404, 411, Bernard de Breydenbach, Op. Cit. p. 46

(48) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 408, 420, Bernard de Breydenbach, Op. Cit. Loc. Cit.

(49) ابن إياس، نفس المصدر السابق، ج٤، ص ٢١٠

(50) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 409, 414, 416–7, 421, 423–5
(51) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, Op. Cit., pp. 166



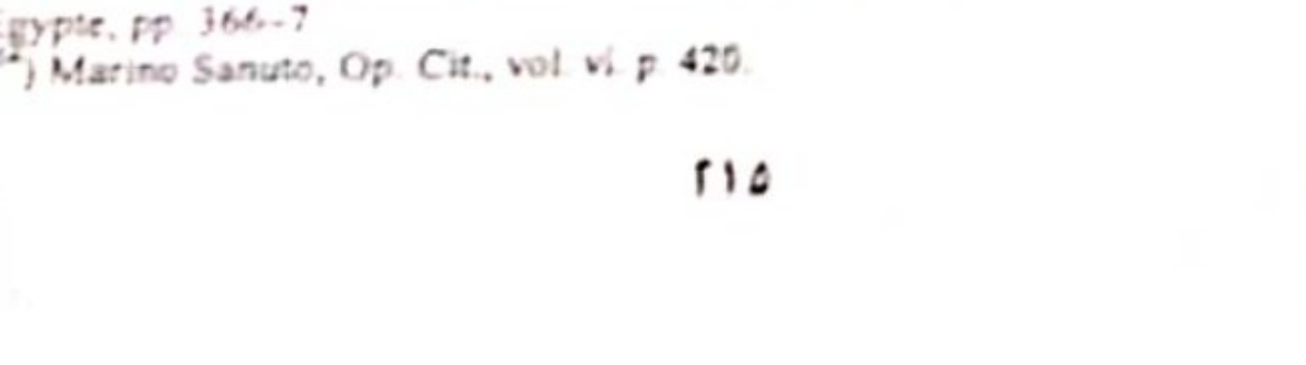


لوحة رقم (٢) لوحتان للسلطانين قايتباي والغوري

(52) Joos van Ghistele, Op. Cit., p. 17
(53) Felix fabri, The book of the Wanderings, vol. ix. p. 148; Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 366–7
(54) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi. p. 420.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## شغل منصب الترجمان الأكبر للسلطان المملوكي

إذا كان الأمر، فقد هيأ لتغري بردي شغل منصب الترجمان الأكبر للسلطان المملوكي اتقانه للكثير من اللغات الأوروبية والشرقية، إذ ذكر مسئوم بن مدحم أن تغري بردي كان يعرف سبع لغات هي العربية، والإيطالية، والتركية، والبوسنية، والعبرية، والألمانية، والفرنسية[55] في حين أوضح فيلكس فابري ومارينو ساتودو أن تغري بردي كان يتحدث إليهم بكل من المعنيين اللاتينية والإيطالية[56].

ويطيعة الحال يمكن إضافة اللغة الأسبانية إلى اللغات التي كان تغري بردي يتقنها بحكم ترجيح كون أسبانيا موطن مولده حسب بعض المصادر. ولعل ذلك يقود للقول أيضا إن إتقانه للغة العربية قد يكون مرجعه كونه أسباني المولد مما منحه الفرصة لتعلم هذه اللغة من أهلها من العرب الذين كانوا لايزالون حتى تلك الحقبة الزمنية يسيطرون على بعض مناطق الأندلس كانت لعلهم تسود هذه المناطق، ولاسيما أن إشارة ميشولم إلى إتقانه العربية كسب سنة ١٤٨١م، أي بعد إقامته بمصر بفترة قصيرة من المؤكد أنها لم تكن تسمح له بتعلم العربية بهذه السرعة إذا لم يكن يتقنها أو على الأقل ملما بها قبل قدومه إلى مصر.

وتظهر المصادر الأوروبية أن أحد المهام التي أوكلتها سلاطين المماليك لتغري بردي كانت تلقي النحاز والحجاج الأوروبيين الذين يمرون بمصر في طريقهم إلى بلاد الشام، أو القادمين من الشام إلى مصر في طريق عودتهم إلى

(55) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, Op. Cit., p. 167.
(56) Felix fabri, The book of the Wanderings, vol. iv, p. 148; Marino Sanuto, Op. Cit., Vol. vi, p. 425.



بلادهم، ودون تغري بردي كان هؤلاء الأوروبيون لا يستطيعون التقدم إلى القاهرة. وكان عليهم عند وصولهم لقرية المطرية في حال قدومهم برا من الشام، أو إلى ميناء بولاق النهري إذا كانوا قادمين من الإسكندرية، ارسال رسالة إليه ليعلموه بوصولهم حتى يأتي إليهم ويتقدمهم للقاهرة مثلما هي مهام وظيفته.

وكان تغري بردي يأتي إليهم على الفور ومعه حامية قوية، ليسفر عنهم عن الأماكن التي أتوا منها، والأماكن التي يريدون التوجه إليها. ثم كان يحصل من كل منهم على مبلغ من المال نظير إقامتهم شبه الإجبارية في قصره في القاهرة، وحمايتهم التي كانت مسئوليته الشخصية، ومرافقتهم هو أو بعض أعوانه في تحركاتهم، وما كان ما يقدمه لهم من خدمات ورعاية أثناء وجودهم في مصر والشام[57]. واختلف هذا المبلغ على مر الأعوام، إذ حدده جوس فان جهستل سنة ١٤٨٢م، وجورج لوخهيرا سنة ١٤٨٦م بخمس دوكات لكل فرد[58]. في حين ذكر مارتن بومجارتن أن قيمته كانت قطعتين من الذهب لكل تاجر، وخمسة لكل حاج سنة ١٥٠٧م[59].

ولا ندري هل كان تغري بردي يُحصل هذه الأموال للخزانة السلطانية أم لصالحه شخصيا. إذ جاء في رواية سنة ١٤٨٣م، أنه "اشتري من السلطان حق احتكار استقبال كل اليهود والمسيحيين الذين يأتون للأراضي السلطانية، ثم كان يستلمهم بالغش والمماكسة. ولقد أصبح ثريا بالوسائل المشروعة وغير المشروعة. وهو يجذب بعوضته مشاعر الحجاج لكي يستولي أموالهم بعد

(57) Bernard de Breydenbach, Op. Cit., pp. 39-40; Martin Baumgarten, Op. Cit., pp. 396, 398, 407-8, 410.
(58) Joos van Ghistele, Op. Cit., p. 17; Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 366-7, 4, 896; Arnold von Harff, Op. Cit., pp. 101, 106; George Lengherand, Op. Cit., p.
(59) Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 396.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك وبتلك الأموال التي اكتسبها بشكل غير سليم تمكن تغري بردي من شراء قصره وزوجات جميلات[٦٠].

وذكر الأباتي مارتن بومجارتن في هذا الشأن أيضا بعد قراءة ربع قرن أن تغري بردي الأسباني المولد، كان يعمل شماس كنيسة في بلده قبل أن يصبح مملوك، ولكنه بعد تركه للديانة المسيحية وتحوله للإسلام أصبح سيدا وحاميا لكل المسيحيين الأجانب الذين يقيمون لبعض الوقت في ممتلكات السلطان، وذلك على الرغم من ارتداده عن دينهم كما أصبح رحلا عظيما ذا سطوة في وقت قصير ولقد وجب على كل المسيحيين أن يقيموا في داره[٦١].

ولم تكن إقامة الأوروبيين في منزل تغري بردي مقصورة على التجار والحجاج منهم فقط، ولكنها شملت أيضا إقامة بعض السفراء الأجانب . إذ سجل جورج لوخهيرا إقامة سفيرا لدولة البندقية لم يحدد اسمه ومعه قسا وخدما شخصين في منزل تغري بردي في شهر نوفمبر سنة ١٤٨٦م . وكان هذا السفير ومعيته ومعهم كل الأجانب الذين تواجدوا آنذاك في بيت تغري بردي يقيمون قداسا يوميا في غرفة الأول[٦٢].

(٦٠) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 402–3.
(٦١) Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 396.

(٦٢) نقول العبارة بالفرنسية القديمة

"chasscun jour nous allions oyr la messe en la chambre d'un ambassadeur vénitien qui avoit son chappellain, et tout ce qui servoit pour celébrer et et dire messe". Cf. George Longherand, Op. Cit., p. 179.



كذلك أيضا أقام في منزله السفير الإسباني بدرو مارتير داخلاربا أثناء وجوده في القاهرة موفدا من قبل ملك وملكة أسبانيا في سفارة للسلطان الغوري في شتاء وربيع سنة ١٥٠٢م[٦٣].

ويبدو أن تغري بردي كان مسئولا عن رصد تحركات الأجانب أيضا حلوا في سلطنة المماليك، إذ يذكر فيلكس فابري سنة ١٤٨٣م هذا الخصوص "وعندما علم السلطان بوجود حجاج مسيحيين غربيين في بيت المقدس، أرسل إليا من مصر مملوك هو ترجمان المسيحيين في القاهرة ليعلم من أين أتى هؤلاء الحجاج، فقد كانت لديه أوامر لسبب لا أعرفه بأن يأتي لهم كسجناء من بيت المقدس إذا كانوا من فرنسا ولكنه عندما علم بأننا لسنا من فرنسا أتى إلي بيت المقدس وتحدث إلينا بلهجة ودية بكل من اللغتين اللاتينية والإيطالية وكان اسم هذا الرجل تغري بردي Tanquardinus"[٦٤].

وتعددت مهام تغري بردي فيما يختص بالأوروبيين إذ كان مسئولا أيضا عما يمكن أن نطلق عليه اليوم سجن الأجانب، وشغل هذا السجن جزءا من قصره. فعلى كامل استدارة فناء القصر وُحدت زنازين لسجن الأجانب المحالفين، وكانت تغلق عليهم بمزاليج وأدرع حديدية، ويُعهد إلى تغري بردي بمهمة مراقبتهم. وشوهد هذا السجن سنة ١٤٨٣م أحيانا منهما بيع طفلين مسلمين، أُسند لتغري بردي مهمة مراقبته بعد الحكم عليه[٦٥].

وكانت الترجمة بين السلاطين المماليك وممثلي السفارات والوفود الأجنبية التي ترد على بلاطهم أبرز مهام تغري بردي منذ بدايات خدمته

(٦٣) Pedro Mártir de Angleria, Op., Cit. p. 96. Cf. also Etienne Comb, Op. Cit. P.
(٦٤) Felix fabri, The book of the Wanderings, vol. ix. p. 148.
(٦٥) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 412–4, 505.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالبلاط المملوكي. فقد أورد جوس فان جيستيل أن تغري بردي كان يقوم بالترجمة بين سفارة ملك نابولي والسلطان الأشرف قايتباي سنة ١٤٨٢م[٦٦].

كذلك ذكر بدرو مارتير دانجلاريا أن تغري بردي كان يترجم الحديث بينه وبين السلطان قنصوة الغوري أثناء سفارته لمصر سنة ١٥٠٢م، وذلك خلال الجلسة الأولى العلنية التي تمت بينهما في يوم الخميس الثاني من فبراير، وكذلك في الجلسة الثانية التي عُقدت بشكل سري بينهما في يوم السبت الرابع من فبراير بحضور تغري بردي فقط. كما ترجم الخطاب الذي حمله بدرو مارتير من ملكي أسبانيا للسلطان الغوري. وقدم لنا بدرو مارتير دانجلاريا خلال روايته لسفارته وصفا لدور الترجمان وطريقته في طرح الأسئلة[٦٧].

ومهما كان الأمر فمما عهد كذلك من وظائف لتغري بردي ما ذكره الرحالة اليهودي ميشولم بن مناحيم بقوله: "وأخبرني الترجمان الرئيسي للسلطان المسمى ساجري فاردي Sagri Vardi، (يعني تغري بردي) أن الرؤساء يحضرون إليه كل ليلة أعدادا مدونة للمواليد والوفيات في القاهرة ومصر القديمة"[٦٨].

أضف لما تقدم أنه يُفهم من خطاب أرسله سفير دوج البندقية إلى بلاده في الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٤٨٩م، قيام تغري بردي بلعب دور الوسيط التجاري بين الدويدار الكبير والبنادقة آنذاك. فضلا عن مسعاه لتأمين

(٦٦) Joos van Ghistele, Op. Cit., p. 44.

(٦٧) Pedro Mártir de Anglería, Op. Cit., pp. 98, 102, 104, 146, 148, 150, 151. Cf. also: Etienne Comb, Op. Cit., p. 108.

وكذلك : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٦٤-١٦٧ .

(٦٨) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra ,Op. Cit., p. 167.



سلامة وصول بعض السفن الرودسية التي كان على متنها بضائع خاصة بالدويدار الكبير[٦٩].

ويبدو أن وقوف تغري بردي إلى جانب الدويدار الكبير جعله عرضة لتقلبات الخلافات التي وقعت في البلاط المملوكي. إذ أورد الألماني أرنولد فون هارف بهذا الشأن — ضمن رواية طويلة عن خلاف بين السلطان محمد بن الأشرف قايتباي وبين دويداره سنة ١٤٩٦م- [٧٠] أن منازل أنصار الدويدار

(٦٩) علي السيد علي محمود: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، فصلة في مجلة التربية التي تصدرها اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ١٠٢، سبتمبر ١٩٩٢م، ص ١٧٠

(٧٠) وقعت هذه الفتنة في عهد السلطان الناصر محمد بن قايتباي (٩٠١ - ٩٠٤هـ / ١٤٩٥ - ١٤٩٩م) في العشر الأواخر من شهر جمادى الأولى سنة ٩٠٢هـ، بعد سلطنة الناصر بوقت قصير. على أن أصولها ترجع إلى عهد السلطان الأشرف قايتباي ، وكان طرفاها الأمير قانصوة الغوري وهو أمير أخور كبير ، والأمير آقبردي الدوادار وهو شقيق زوجة السلطان الأشرف قايتباي ، وكان بينهما نزاع طويل طوال سنوات . ففي شهر رمضان سنة ٩٠٠هـ ، توعك السلطان قايتباي حتى أرجف بموته ، وأشيع أن قانصوة تفحّم على السلطة في مدة مرض السلطان ، ولذلك مُنع من الدخول عليه، وحين شفي خرج قانصوة من القاهرة في ليلة عيد الفطر ولم يحضر موكب العيد ، فكثر القيل والقال في ذلك اليوم، فلما كان يوم العيد أثار مماليك آقبردي الدوادار الفتنة، ونهب المماليك الجلبان دار قانصوة . وعندما رجع قانصوة للقاهرة وعلم بما حدث ازدادت العداوة بينه وبين آقبردي، وأخذ يجمع الأمراء والعسكر من حوله بغية الوصول إلى السلطة، ولكن السلطان الأشرف قايتباي تمكن من احباط مسعاه ففر من القاهرة، وأخذ الأمير آقبردي الدوادار يتتبع الأمراء من أتباعه فقبض عليهم وأنزل بهم العقاب. وفي شهر شوال سنة ٩٠١هـ ظهر قانصوة بعد اختفائه لمدة تسعة أشهر ليقدم اعتذاره للسلطان الذي عفا عنه ورسم له بالعودة لداره. بيد أن مماليك قانصوة وانتقاما لما ألم بهم على يدي الأمير آقبردي الدوادار لم يلبثوا أن حاصروا داره وأحرقوها " ثم تمكن قانصوة من دخول القلعة وقبض على بعض الأمراء بها ، ثم أعلن مبايعة محمد بن قايتباي بالسلطنة في يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٠١هـ ، بعد موت السلطان الأشرف قايتباي في اليوم التالي الموافق الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة . فأنعم السلطان الناصر محمد بن قايتباي على قانصوة بمنصب الأتابكية ، وأخذ منصب الدوادارية الكبرى من حاله وصحبها لغوره ورسم بسراح مماليكه (الذين هربهم في البلاد فهرب إلى غزة متخفيا . وتعاظم أمر قانصوة للدرجة التي لم يصلي فيها مع السلطان صلاة عيد الأضحى وصلاة الخليفة . وعندما جاء السلطان بالمصحف الشريف ليقسم الأمراء والعسكر عليه بمين الولاء تخلف قانصوة عن الحضور ثم حلف اليمين لكن غير صادقة . وعندما استشعر قانصوة من السلطان ميلا نحو العفو عن حاله الأمير آقبردي وأصحابه من الأمراء خلع قانصوة نفسه وأخذ البيعة لنفسه في الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٩٠٢هـ، فحدثت فتنة استمرت لمدة عشرين يوما حتى يوم الأربعاء التاسع عشر من جمادى الآخرة . وخلالها أرسل السلطان الناصر يستدعي الأمير آقبردي من غزة للقاهرة ، فتوجه قانصوة إلى غزة للقضاء على الأمير آقبردي، لكن الأخير تمكن

قد هست، وكان من بينها مول الترجمان الكبير الذي لم يذكره بالاسم، ولكنه كان بالتأكيد آنذاك تغري بردي. ويضيف أن قد تم كذلك تدعيم مولد وقف بضائعه. وهذه الرواية لا تقبل الشك لأنها رواية شاهد عيان كان يقيم كما أكد بنفسه في مول الترجمان الأكبر (يعني تغري بردي) أثناء اندلاع تلك الأحداث[٧٠].

ولعل ما يلفت النظر في قول أرنولد فون هارف هو عبارة وقف بضائعه التي تُظهر أن تغري بردي لم يكتف بكل ما آل إليه حاله في البلاط المملوكي، وإنما دفعه شرهه للمال — وهو أمر سوف يتضح لاحقا في ثنايا البحث — إلى العمل كذلك بالتجارة ومشاركة الدويدار في هذا الأمر، وهو ما يفسر كونه من أفراد حزب الدويدار، واصرار الخلاف بين السلطان والدويدار به مثلما أضر بالدويدار.

وأيا كان الأمر، فمن المؤكد أن تغري بردي كوفئ على مجهوداته التي بذلها من أجل السلطة المملوكية فعُين أميرا بالبلاط المملوكي، إذ ذكره ابن إياس سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، ضمن أمراء العشرات، وكان آنذاك في خدمة السلطان قانصوة الغوري[٧٢].

يبقى القول في هذا الشأن أن تغري بردي بات يشغل مكانة خاصة داخل البلاط المملوكي، مما حدا بالسلاطين المماليك — كما سنرى لاحقا —

---

مصاحبة أغاي نائب غزة، ويبدأ نائب طرابلس من قبله، للعودة أدراجهم إلى القاهرة منصورا. ويزيد من التفاصيل عن تلك الفتنة وتفاصيلها يمكن الرجوع للمصدر الخصص بكامله لها والمنسوب لابن الشحنة وهو بعنوان "نور الجوهر في سيرة الملك الناصر" محمد بن قايتباي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣.

(٧١) Arnold von Harff, Op. Cit., p. 186.

(٧٢) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤، ص ٣٢.



لاحتياره لمفاوضة وصعوبة رحلة وسفيرا لهم أمام ممثلي ومسئولي البلاد الأخرى، أو كما وصفه السلطان الغوري بالترجمان القاصد في مرسومه لتجار جمهورية فلورنسا الصادر بتاريخ الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة ٩١٣هـ/ التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٥٠٧م[٧٣].

نشاطه الدبلوماسي

كان إتقان تغري بردي لعدة لغات أكبر الأثر فيما أُسند إليه من مهام في البلاط المملوكي. كما هيأه للعب دورا هاما ومؤثرا في علاقات الدولة المملوكية بالقوى الأوروبية. وفيما يتعلق بهذا المجال ظهر تغري بردي لأول مرة في محفوظات دولة السدقية سنة ١٤٨٩م في تعليمات الدولة لمبعوثها بيترو ديدو Piero Diedo الذي أرسله إلى القاهرة للتباحث مع السلطان المملوكي بشأن تنازل مصر عن مبادقا على جزيرة قبرص لصالح السدقية مقابل مبلغ من المال لسداده لها الأخيرة سنويا[٧٤].

---

(٧٣) انظر هذا المرسوم في

John Wansbrough, The Safe – Conduct, p. 22.

(٧٤) جزيرة قبرص: كانت هذه الجزيرة تدفع من قبل ملوك قبرص منذ سنة ١٤٢٩م، ومنذ اتفاقية الجزيرة لمصر وكانت تخرج عن حكم لوزنان Janus Lusignan ملك قبرص (١٣٩٨-١٤٣٢م) الذي وقع أسيرا في يد السلطان الأشرف برسباي (١٤٢٢ - ١٤٣٧م / ٨٢٥ - ٨٤١هـ) أثناء حملته الثالثة على قبرص سنة ١٤٢٩م / ٨٣٣هـ. وقدرت قيمة هذه الجزيرة السنوية بثمانية آلاف دينار. وكان ملوك قبرص يطلبون بإرسال سفراء من لدنهم أو بشكل شبه سنوي لدفع مبلغ الجزية. وكان السلاطين المماليك يطلقون على هؤلاء السفراء وملوكهم خلعا وكنوع من الثبات لتعيينهم فيه. وظل الأمر على هذا الحال إلى أن تولت الملكة كاترين كورنارو Cathrine Cornaro السدقية الأصل عرش الجزيرة (١٤٧٤-١٤٨٩م)، فتنازلت عن الجزيرة إلى وطنها الأم السدقية عام ١٤٨٩م. وقبل السلطان الأشرف قايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٦م / ٨٧٢ - ٩٠١هـ) هذا الوضع الجديد على أن تظل الجزيرة السدقية للقرون، ومن ثم حدثت مفاوضة بترو ديدو لترتيب هذا الأمر. راجع: ناجلاء محمد عبد السميع: العلاقات السياسية والاقتصادية بين السدقية ومصر في عصر دولة المماليك الثانية (٧٨٤ - ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧م)، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، كلية الآداب — جامعة الإسكندرية ١٩٨٤م، ص ١٠٦ - ١١٣.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوحة رقم (٣)

كاثرينا كورنارو ملكة قبرص

بريشة الفنان جنتيل بلبني Gentile Bellini (سنة ١٥٠٠م)

ويظهر من هذه التعليمات أن دور تغري بردي في المباحثات لم يكن مجرد الترجمة بين المتحاورين وإنما كان دوره أساسا في المفاوضات، وهو ما يؤكده الخطاب الذي أعطاه دوج البندقية إلى سفيره وجاء فيها نصه بأنه: "يوجد ترجمان للسلطان اسمه تغري بردي نعلم أنه من ذوي النفوذ والخبرة، وعلى دهاء كبير، ويحسن أن تحصل على معاونته لتسهيل مهمتك المنشودة"[٧٥].

(٧٥) عن نص هذه التعليمات الموضع السابق، ص ١٦٦.



وذكر السفير بيرو ديدو في خطاب أرسله لمجلس سناتو البندقية خلال مهمته أن تغري بردي كان حاضرا ومتعاونا للغاية في أخص الجلسات التي عقدها السلطان قايتباي معه.

وكما كان تغري بردي شاهدا على نقل جزيرة قبرص للسيادة البندقية، فقد كان شاهدا فيما بعد على قيام البندقية بدفع جزية قبرص للمرة الأولى. إذ يظهر الإيصال الدال على قيام زوان برجي Zuane Bargi سكرتير البندقية، وماركو ماليبيرو Marco Malipiero بتسديد مبلغ أربعة آلاف دوكات من قيمة الجزية المفروضة على جزية قبرص إلى الخزانة السلطانية، أن ذلك تم بحضور الترجمان تغري بردي السيفي in presentia del spadier Tangrivardi Turziman. وحُرر الإيصال الدال على ذلك بتاريخ الحادي عشر من مارس سنة ١٤٩٠م/ التاسع عشر من ربيع الثاني سنة ٨٩٥هـ. واسم تغري بردي هو الإسم الوحيد الذي يظهر من الجانب الإسلامي في هذا الإيصال الذي مُنح لممثلي البندقية تأكيدا على تسديدهم للمبلغ. ولعل تغري بردي هو محرر ذلك الإيصال[٧٦]. ولقد تولى في العام التالي ترجمة معاهدة تجارية بين السلطنة والبندقية[٧٧].

لم تتوقف أهمية دور تغري بردي في المفاوضات الخاصة بقبرص عند هذا الحد، ولكنه استمر في الأعوام التالية في معالجة مبلغ الجزية الخاص بالجزيرة، التوسط لدى السلطان لصالح السفراء والمصالح البندقية. ففي الثاني عشر من نوفمبر سنة ١٤٩٨م وفي خطاب للسلطان ذُكر أن هذا الخطاب الذي صاغه تغري بردي له ليوجهه إلى حكومة قبرص البندقية، اخطارًا لهم بأن سفيرهم

(٧٦) Mas Latrie, M. L. De, Histoire de l'Ile de Chypre, t. iii, Paris, 1855, p. 481.

(٧٧) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, pp. 508 – 9.

المدعو هيرونيمو زوستينيام Hironimo Zustiniam قتل بين يديه، وتسلم منه قسطين do page من مبلغ الجزية، وأن هذين القسطين اللذين احضرهما السفير اساءت للأمور، وأنه أراد القبض على السفير بسبب القسطين الآخرين لولا التوسلات الضخمة من ترجمانه الأثير والحبيب تغري بردي per gran preghiere del caro et amato nostro turciman Tangriverdin. وأنه استجابة لتوسلات ووعود قطعها لتغري بردي تعهد فيها بإرسال القسطين خلال هذه المهلة دون خطأ، قرر منح السفير مهلة خمسة أشهر لإرسال القسطين المتبقين. وختم السلطان خطابه بالتهديد بالقبض على القنصل البندقي في دمشق والقنصل البندقي في الإسكندرية، بل وحتى ترجمانه تغري بردي إذا مرت الشهور الخمسة دون إرسال المبلغ المتبقي si passerano li cinque mesi reteniremo el consulo de Damasco et Alexandria et el nostro turcimano.[٧٨]

ويُشير خطاب لقنصل البندقية في الإسكندرية بتاريخ الرابع والعشرين من مايو سنة ١٥٠٠م أن تغري بردي خاطبه بشأن جزية قبرص، وأخبره أن السلطان يطلب مُنه القدوم للقاهرة لمناقشة هذا الأمر، وأنه رد على تغري بردي بأنه في انتظار وصول سفينة من قبرص تحمل الجزية من حكومة قبرص[٧٩].

وفي الثالث من ديسمبر سنة ١٥٠٠م كتب هيرونيمو تيبولو Hironimo Tiepolo قنصل البندقية خطابا وجهه لحكومته، قال فيه: أن السلطان يتصرف كطاغية في كل البلد دون مراعاة لمكانة اي شخص، وأن الكثيرين قُتلوا بأوامر منه. كما أرسل خاصكي من قبله للإسكندرية، وأمره

(٧٨) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. ii. p. 614.
(٧٩) Ibid., vol. iii. p. 476.



بأن يحضر للقاهرة التجار البندقة الذين رفضوا شراء الفلفل بالسعر الذي حدده السلطان مكبلين بالسلاسل. فوصلوا القاهرة في الثاني والعشرين من سبتمبر ومعهم القنصل، وهم السادة دانيل داندولو Daniel Dandolo، وبولو دي بريولي Polo di Prioli، وأنطونيو دي كولتي Antonio di Colti، وألفيز مورا Alvixe Mora. وهناك تم حبسهم في منزل أمير يسمى Mirmis bei. وبعد ذلك وفجأة حررهم تغري بردي poi soprazonse Tangribardi, الترجمان، وقادهم إلى منزله turziman , che li libero de la zime e li condusre a caxa sua . وبعد حل مشكلة الفلفل، ودفع البندقة جزء من ثمنه والتعهد بإرسال المتبقي، تحدث معهم السلطان عن جزية قبرص المتأخرة، ثم رحلوا عن القاهرة إلى الإسكندرية في صحبة تغري بردي للحصول على المبلغ المتبقي من ثمن الفلفل المشار إليه أعلاه el qual turziman zercha di aver li sopraditti danari.[٨٠]

ولم تلبث الروايات عن العلاقات الطيبة لتغري بردي بالبندقية أن انقلبت إلى عداء رصدته سجلات البندقية؛ وكان هذا مع صعود قنصوة الغوري إلى عرش مصر في ظروف صعبة. فقد باتت الحدود الشمالية في الشام مهددة من قبل العثمانيين، كما أسس الشاه إسماعيل الأسرة الصفوية في فارس، وأصبحت تجارة مصر مع الهند مفلسة بسبب تحول طرق التجارة. أضف لذلك تقوط غرناطة وترهيب مسلمي أسبانيا للتحول عن دينهم للمسيحية، مما أثار مشاعر الدول الإسلامية التي أرسل حكامها مبعوثين إلى الغوري يطالبوه فيه منع التاجر الأوروبية من الوصول لشرق البحر المتوسط، والأوروبيين من

(٨٠) Ibid., vol. iii. p. 1526.

زيارة الأماكن المسيحية في فلسطين. الأمر الذي دفع ملكا أسبانيا فرديناند وإيزابيلا لإرسال سفارة بدرو مارتير دانجلاريا للتفاوض مع الغوري بشأن هذه الأمور[٨١].

وجاءت الإشارة الأولى لعداء البندقية لتغري بردي بتاريخ الخامس والعشرين من أكتوبر سنة ١٥٠٢م في تعليمات مجلس سناتو البندقية لمبعوثه بيترو سانوتو والتي وُصف فيها تغري بردي بأنه الأكثر عداء لاهتمامات أمة البندقة ، أو كما تقول العبارة بالإيطالية Tangravardi Turziman del Soldan , inimicissio, per quanto siamo informati , ala nation nostra. وتُصح بيترو سانوتو في التعليمات باستشارة قنصل البندقية في الإسكندرية، واللجوء إذا دعت الضرورة إلى رشوة تغري بردي لضمان مساعدته في إنجاز مهمته. والغريب في الأمر كما يظهر من رواية حفظها زوان دانيس Zuan Danese القس الخاص لبيترو سانوتو أن تغري بردي لم يضع أية معوقات أمام السفارة، بل على العكس من ذلك تماما، فقد كان متعاونا معها، ورتب جولة لأفرادها لرؤية أهرامات الجيزة وحديقة البلسم السلطانية في المطرية[٨٢].

وفي نوفمبر سنة ١٥٠٣م، عمل تغري بردي لمصلحة بورتولو كونتاريني Bortolo Contarini قنصل البندقية في دمشق. كذلك، وبعد عامين وتحديدا في يوليو سنة ١٥٠٥م، ساعد تغري بردي بعض البنادقة الذين كانوا في القاهرة خلال تفشي وباء الطاعون. والنص الوحيد الذي يتحدث عن

(٨١) Charles Schefer, Jean Thenaud, Le Voyage d' Outremer, suivi de la Relation de l' Ambassade de Domenico Trevisan auprès du Soudan d' Egypt 1512, publié et annoté par Charles Schefer nouvelle edition, Genève 1971, introduction, pp. xliii – xliv.
(٨٢) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 509 .



معاملة غير ودية من تغري بردي تجاه البنادقة، كانت عندما لم يقم تغري بردي — كما يبدو — بالتوصية بالمبعوث البندقي زوان باتيستا بيمبو Zuan Baptista Bembo لدى السلطان خلال مهمة له بالقاهرة في فبراير ١٥٠٤ م[٨٣].

يتضح مما سبق أن تغري بردي كان معاونا للبنادقة على تحقيق مصالحهم أكثر منه معوقا لهم في البلاط المملوكي. وأيا كان الأمر، فقد اختاره السلطان الغوري ليوفده في سفارة إلى البندقية سنة ١٥٠٦م. وكان سبب إرساله في سفارته تلك هو أنه بعد تنظيم مرضي سنة ١٥٠٤م لسعر وكمية الفلفل التي كان السلطان المملوكي يفرض على التجار البنادقة شراءه من مخزنه الخاص ، ارتفع السعر في أغسطس من نفس العام لمائة وأربعين دوكات بندقية للحمل بدلا من ثمانين دوكات. وفي فبراير من العام التالي (١٥٠٥م) أُجبر البنادقة على شراء مائتين وخمسين حملا بسعر مائة واثنين وتسعين دوكات بدلا من تسعتهم السنوية المقررة وقدرها مائتين وعشرة أحمال. وفي أكتوبر من نفس العام تمت مصادرة بعض ممتلكات البندقية في الإسكندرية انتظارا لقبول التجار البنادقة للفلفل الإضافي. ولكن التجار البنادقة — على غير ما جرت به العادة — رحلوا عن الإسكندرية في تلك الأثناء دون إذن رسمي من السلطان بالمغادرة. ونتيجة لتلك الأحداث أرسلت البندقية للقاهرة مبعوثا يدعى ألفيز سجودينو Alvise Sagudino للتباحث مع السلطان بشأن ذلك. غير أن ذلك المبعوث ما لبث أن توفي في القاهرة في فبراير سنة ١٥٠٦م قبيل الوصول

(٨٣) Ibid., Loc., Cit.



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

بهذا الشأن، الأمر الذي دفع السلطان الغوري إلى إرسال كبير تراجمته تغري بردي للسدقة لمتابعة الساحات [٨٤].

وحدد ابن إياس بداية السفارة في قوله إنه في شهر ذي القعدة سنة ٩١١هـ/ أبريل سنة ١٥٠٦م "سافر تغري بردي الترجمان إلى نحو بلاد الفرنج وأخذ معه كتاب الشرك، وكان قد توايد تحت الفرنج بالسواحل وأخذ أموال التجار"[٨٥]. أما المؤرخ السدقي ماريو سانوتو فقد ذكر أن هذا السفير (يعني تغري بردي) كان يحمل سلطة من السلطان لدفع خسائر السفينة التي أخذها فرسان رودوس وعلى متنها مسلمين [٨٦].

وهكذا حدد كلاً من ابن إياس وماريو سانوتو الغرض من سفارة تغري بردي إلى أوروبا تمحاولته التفاوض مع القوى الأوروبية للتدخل لمنع هجمات الفرنج والمعني هم آنذاك فرسان إستارية جزيرة رودس الذين باتت هجماتهم على التوانين والسفن المملوكية تؤرق السلطان المملوكي. وتوضح رواية ابن إياس أن تغري بردي أخذ معه رسالة من بطريرك بيت المقدس لتسهيل مهمته بهذا الشأن لدى القوى الأوروبية. وحقيقة الأمر أن السلطان الغوري هدف من تلك السفارة معالجة عدة قضايا طرأت آنذاك على علاقاته بالعديد من القوى الأوروبية ومن بينها السدقة.

---

(٨٤) Marino Sanuto, Op. Cit., vol vi p 419 Cf also Charles Schefer, Op. Cit. Introduction, pp xlviii - L, John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p 514

(٨٥) انظر كذلك حول تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى: توفيق أحمد رضا محمد رضا، مراجعة وتقديم فؤاد حمزة، ج ٣، ج ٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ج ٣، ص ٣٦٨ ــ ٣٦٩

(٨٦) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩١

(٨٧) Marino Sanuto, Op. Cit., vol vi p 356



وكانت البداية عندما غادر تغري بردي وأفراد سفارته الإسكندرية في أبريل سنة ١٥٠٦م/ ذي القعدة سنة ٩١١هـ برفقة الأمير دي بيترو Alvise di Piero سكرتير الأمير ساجومديو السفير المتوفي المشار إليه أعلاه، وذلك على متن سفينة galia بقيادة السيد ماركو براجادين Marco Bragadin وتكونت حاشية تغري بردي المرافقة له من عشرين فردا، كان من بينهم أربعة خدم (خاصكية) والذين من خلفة السلطان، بالإضافة لاثنين من زوجاته. وتكفلت السدقة بنفقات الرحلة من الإسكندرية للسدقية من أموال ضريبة كوتيمو الإسكندرية أي أموال التعريفات التي تفرضها على بضائع الإسكندرية [٨٧].

---

(٨٧) Marino Sanuto, Op. Cit., vol v pp 354, 356, 420, Martin Baumgarten, Op. Cit., 394 Cf also: John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p 514



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوحة رقم (٤)

مشهد للإسكندرية في مستهل القرن ١٥م

ونذكر المصادر السدفية أن أول وقفة للسفينة كانت في جزيرة قبرص في اليوم السادس من شهر مايو سنة ١٥٠٦م وأنها رفعت بالجزيرة مدت السدفية تعري بردي مائتين وخمسين دوكات من أموال ضرائب الكونيمو cotimo [٨٨]

(٨٨) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi p. 356.

لوحة رقم (٥)

خريطة لقبرص من القرن ١٦م

.. ومن هناك أرسل تغري بردي في طلب أمان مرور من إيمري دامبواز Aimery d' Amboise المقدم الأكبر لإستارية رودس (١٥٠٣-١٥١٢م) للرسو بجزيرته قبيحه له [٨٩]

والواقع أن ذلك الإتصال بين تغري بردي وسادة الإستارية كان الثاني من نوعه. وكان شأنه كشأن الإتصال الأول محاولة لرأب الصدع الذي أخذ يزداد يوما بعد يوم في العلاقات بين دولة المماليك وإستارية رودس. فقد حدث في أبريل سنة ١٥٠٠م أن دخلت سفينة دومنكوس سينتوريوني المحملة بالأخشاب إلى الإسكندرية بأمان مرور Domenicus Centurione

(٨٩) Charles Schefer, Op. Cit., Introduction, p. 1.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقب معركة لها مع سفينة تركية. وتحفظت سلطات المدينة على السفينة وقبضت على تجارها ومن عليها من الفرسان الإستبارية. فكتب بيير دوبسون Piérre d'Aubusson سيد الجماعة (١٤٧٦- ١٥٠٣م) وقتذاك للسلطان المملوكي وأمير الإسكندرية وتغري بردي الترجمان محتجا على هذا الفعل. وأوضح بيير دوبسون لتغري بردي بصفة خاصة أن تجار جزيرة رودس باتوا قلقون من التردد على مصر للتجارة نتيجة لتلك الحادثة (٩٠).

لوحة رقم (٦)

شعار نيابة بيير دوبسون

(٩٠) أكد ذلك الإتصال الأول بين تغري بردي و بيير دوبسون سيد الداوية نيقولاس فاتين أحد المتخصصين في تاريخ الإستبارية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. ولقد ذكرها نقلا عن وثائق أرشيفات جماعة الإستبارية المحفوظة في المكتبة الوطنية لجزيرة مالطة والتي يوردها إختصارا باسم AOM وهي إختصار Documents des Archives de l'Ordre de Saint Jean conservés à la Bibliothèque National de Malte والوثيقة تحمل رقم AOM 78 . 131v-133r . عن ذلك راجع :

Nicolas Vatin, L' Ordre de Saint – Jean de Jerusalem, l' Empire Ottoman et la Mediterranée Orientale entre les Deux Sièges de Rhodes 1480-1522, Paris, 1994, p. 317



وواقع الحال أنه ليس معروفا ما تم التوصل إليه لمعالجة هذه الواقعة. وأيا كان الأمر فقد اتجهت جماعة الإستبارية منذ سنة ١٥٠١م للقيام بهجمات على السفن المملوكية لأسباب البتراتيجية واقتصادية أبرزها إعاقة تحالفها مع العثمانيين. والإشارات العديدة التي يذكر بها كتاب ابن إياس عن القراصنة الأوروبيين في تلك الفترة إنما يقصد بها في أغلبها جماعة إستبارية رودس (٩١).

ولعل ذلك يفسر توجه تغري بردي إلى جزيرة رودس التي من المحتمل أنه وصلها على نفس السفينة التي أقلته من الإسكندرية. ولقد أقام بالجزيرة بضعة أيام محاطا بكل الترحاب عقد خلالها اتفاقية مع إيمري دامبواز مقدم الإستبارية الذي أكد في خطاب له حمّله لتغري بردي بألا يتعرض لأسطول السلطان المملوكي، ووقف هجمات سفن الجماعة على سواحل مصر والشام. وفي الحقيقة لم يتوقف فرسان الجزيرة عن مهاجمة السفن المملوكية برغم ذلك الإتفاق (٩٢).

(٩١) Ibid., p. 300 .

(٩٢) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. xiv. p. 499 . Cf. also: Charles Schefer, Op. Cit., Introduction, p. Li; John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, pp. 514 - 5.

راجع كذلك: علي السيد علي محمود: المرجع السابق، ص ١٦٦ – ١٦٧.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوحة رقم (٧)

مشهد لجزيرة رودس سنة ١٤٩٠م

كذلك انتهز تغري بردي فرصة وجوده بالجزيرة لدفع فداء بعض الأسرى المغاربة الذين كانوا محوزة جماعة الإستبارية ، وهو ما أوضح أمره ماريو سانوتو في عبارته quando Tangavardi turziman fu imbassador a Rodi per recuperar Magrabiey (٩٣) وأشار إليه ابن إياس أيضا في قوله وفي رجب سنة ٩١٥ هـ /أكتوبر-نوفمبر ١٥٠٩م) " أفرد السلطان على طائفة المغاربة اثنين وثلاثين ألف دينار ..وكان سبب ذلك أن تغري بردي الترجمان لما توجه إلى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الإفرنج عدة أسرى من المغاربة بنحو من خمسين ألف دينار ، فلما خلصوا أزاد

(٩٣) Marino Sanuto , Op . Cit ., tom . xiv p . 499 .



السلطان أن يوزع ما غرمه من المال على طائفة المغاربة التي بمصر وبالإسكندرية في نظير ما غرمه"(٩٤).

وبعد انجاز المهمة الأولى لسفوة تغري بردي إلى أوروبا ، ولي نهاية أقامه برودس صحبه سيد الإستبارية هدايا قيمة، وأوصله بنفسه لسطح الشانية المقلة له، لسحر من الجزيرة مباشرة ودون توقف في طريقها للسذقية المحطة الثانية لسفارته، وكانت السفينة تلك المرة بقيادة السيد فرانسيسكو باسكواليجو Françesco Pasqualigo، وكذلك السيد كوزما Cosma وامتمر ألفير دي بيرو سكرتير السيد ألفير ساجوديبو بمقر السذقية الذي مات بالقاهرة في مرافقة تغري بردي في تلك المرحلة من رحلته أيضا (٩٥).

وحلت السفينة بالسذقية في صباح السابع عشر من مستمبر سنة ١٥٠٦م (٩٦).

(٩٤) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٤

(٩٥) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi p. 419, vol. vii p. 202. Cf also: Charles Schefer, Op. Cit., Introduction, p. Li

(٩٦) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii p. 202.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوحة رقم (٨)

مشهد للسفينة من سنة ١٥٠١م

وهناك وعلى ميدان اللِّيدو **Lido**، وبناء على أوامر مجلس السينوريا كان في استقباله للترحيب به ومرافقته العديد من النواب النبلاء في ملابسهم الأرجوانية، والكثير من أشراف التجار ذوي الاهتمامات بتجارة الإسكندرية ودمشق. وعقب الاستقبال توجهت السفارة في نفس الثانية يصحبها عدد من الأشراف والنبلاء وحامية عسكرية عبر القنال الكبير للقر الذي أعدها في جزيرة لاجوديكا **La Giudecca** أو **La Zuecha** كما ذكرها ماريو سانوتو واحتفاءً به تم تزيين السفينة والقوارب الأخرى بالذهب، كما جُهز المنزل الذي أقام فيه بشكل مشرف، وبأغطية من الذهب، وذلك من أموال ضريبة الكونسو [٩٧].

[٩٧] Ibid., vol. vi pp. 419-20; vol. vii p. 215



وتُظهر ما سبق استطالة تغري بردي بشكل جيد من حكومة البندقية على الرغم مما ذكره ماريو سانوتو وأكد عليه جون وانسبرو من أن حكومة البندقية لم ترسل سفينة الدولة المسماة بوشنتورو **Bucintoro** لتحيته عند وصوله [٩٨]. وشكواه المذكورة من تحمل حكومة البندقية لمصاريف السفارة، إذ حصلت تغري بردي ومعيته نفقة شهرية مقدارها مائتين وخمسين دوكات من أموال ضريبة الكونسو حتى نهاية المداولات [٩٩].

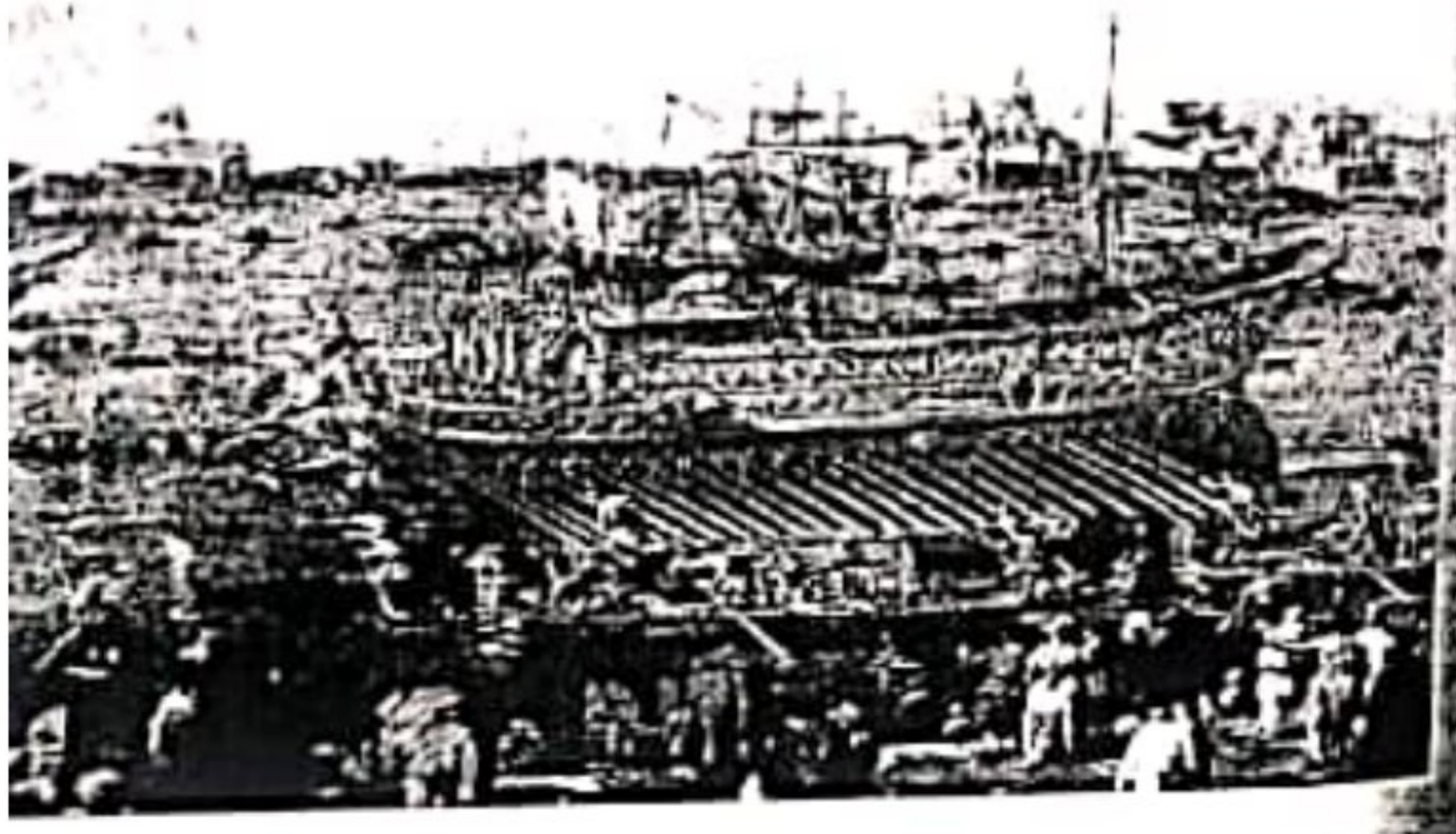

لوحة رقم (٩)

رسم من القرن الثامن عشر للبوشنتورو السفينة الرسمية للبندقية التي لم تخرج لاستقبال تغري بردي عند وصوله للمدينة .

[٩٨] Ibid., vol. vi p. 420

[٩٩] Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi p. 458, tom. vii, p. 215. Cf. also: John Wansbrough, (QC) amluk Ambassador, p. 515



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن المرجح لدينا أن السادقة اختاروا بعناية جزيرة لاجيوديكا مقرا لإقامة تغري بردي انطلاقا من معرفتهم التامة بأصله وشخصه. فمن ناحية فلاجيوديكا هي سلسلة من الجزر الصغيرة تقع إلى الجنوب من البندقية، وتشكل معا جزيرة كبيرة أخذت اسمها من اليهود guidei الذين عاشوا بها منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي قبل أن يُجبروا على مغادرتها في سنة ١٥١٦م هم وكل يهود البندقية المتناثرين عبر جزرها وأحيائها المختلفة ليقيموا معا في الجزيرة الصغيرة أو الحي أو الجيتو الذي خصص لهم والذي عرف بالجيتو الجديد Ghetto Nuovo. ولعل حكومة البندقية أرادت من وراء اقامة تغري بردي بهذا المكان تذكرته بأناس كان ينتمي إليهم ولدينهم يوما ما. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمجموعة الجزر المسماة لاجيوديكا كانت المكان الذي اعتاد أفراد طبقة نبلاء البندقية على بناء بيوتهم بها في الفترة المبكرة من عصر النهضة، كما امتازت بحدائقها التي لم يوجد مثيلا لها بأي مكان آخر في البندقية، وكأنهم هدفوا من ذلك اغراء تغري بردي بشراء وجمال تلك الجزيرة يومذاك (١٠٠).

ومهما يكن من أمر، فقد خصصت حكومة البندقية لشئون مباحثاته ومرافقته وتسليته وخدمته خلال الأشهر العشرة التي أقامها بالبندقية ثلاثة مرافقين هم: ألفيز دا مولين Alvise da Molin، وألفيز أريموندو Alvise Arimondo، وبيرو بالي Piero Balli .

(١٠٠) لمزيد من التفاصيل عن موقع لاجيوديكا ويهودها في نهاية العصور الوسطى انظر:

Jonathan Buckley, The Rough Guide to Venice & the Veneto, fifth edition, London, 2001, pp. 152ff,232ff .

وسجل لنا مارينو سانوتو أبرز الأحداث التي مرت بتغري بردي خلال المدة التي قضاها في البندقية، ففي صباح يوم الأحد العشرين من سبتمبر ذهب السيد البيل الفارس بولو تريفيكسان Pollo Trivixan، والسيد الطيب الفارس زوان بادوير zuan Badoer في أردية حريرية أرجوانية ومعهم هدية نحو أربعين طبقا إلى حيث يقيم تغري بردي في لاجيودكيا، لكي يصطحباه إلى جلسة استماع. فتوجه تغري بردي إلى مجلس السنيوريا تتقدمه معية من اثني وعشرين فردا، من بينهم حاصكي واثنين من القضاة، فنهض الدوج من مجلسه وتقدم قليلا وألقى التحية عليه ، فرد تغري بردي التحية باللاتينية التي كان يعرفها، ثم قدم له خطابين من السلطان. ولأن هذين الخطابين كانا غير مترجمين حدد الدوج لتغري بردي جلسة استماع أخرى، ثم قام بتحيته فعاد لمقره. وتلى هذا تحديد نفقة شهرية للسفارة قدرها مائة وخمسين دوكات، فضلا عن هدايا من الحلويات confection وشمع العسل cere (١٠١).

وفي السابع والعشرين من سبتمبر تناول تغري بردي العشاء مع السيد ماركو ماليبيرو Marco Malipiero حاكم قبرص. وأعقب العشاء حفلة موسيقية، وإلقاء قصيدة دينية حازت اعجابا كبيرا (١٠٢).

كما حضر حفل زواج ابنة السيد زورزي ناني Zorzi Nani من السيد زوان باتيستا بادور Zuan Batista Badoer في كنيسة سان تروفازو San Trovaso في الرابع من أكتوبر، وكان تغري بردي وعشرة من المسلمين ضمن خمسين مدعوا كانوا في الحفل (١٠٣).

(101) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi. p. 425.
(102) Ibid., vol. vi. p. 430.
(103) Ibid., vol. vi . p. 437 .



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرحيلة فقد ذكر ماريو سانوتو مناسبة وحيدة لمظاهر حشد من الخواص أمام مقر إقامته في حيودبكا [١٠٨].

لوحة رقم (١٠)

رسم حديث لكوبري ريالتو

وعودة لما يتصل بالهدف الرئيسي لسفارة تغري بردي، فبعد ثلاثة أيام من وصوله إلى الدقية – كما سبق التنويه – وفي العشرين من سبتمبر ذهبي بقابله الأول مع دوج المدينة حيث قدم إليه خطابان بالعربية من السلطان. ويبدو أنه لم يقدم إليه أية هدايا في تلك المقابلة، ولم يناقشه في أي شئ غير ترجمة الخطابين. ونص الخطابان محفوظان فقط في ترجمتهما الإيطالية، كما ترجمهما سانوتو في يومياته. والخطابان متشابهان تقريبا في المحتوى ولكنهما

(١٠٨) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, pp. 515 - 6.



وفي الخامس والعشرين من أكتوبر عقدي مجلس استقبال من قبل المجلس الأكبر Gran Consiglio [١٠٩]، وعقد مجلس استقبال في سان فيدو San Vido في الحادي عشر من نوفمبر، حين التقاه في منزله السيد فينشنزو جريماني Vicenzo Grimani هو وسبعة ممالك بمصحبته [١١٠]، وقام بجولة شراء مع معينه في منطقة الريالتو Rialto في الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ١٥٠٦م [١١١]، واستقبله ليوناردو لوريدان Leonardo Loredan دوج الدقية (١٥٠١ – ١٥٢١م) وقام بزيارة مجلس الكوليجيو Collegio في الرابع من فبراير سنة ١٥٠٧م [١١٢] وبرغم هذه الحفاوة

(١٠٩) تتشكل هيئة المشرفين لجمهورية الدقية من هيئة المجلس عقد في قاعته المجلس الأكبر Gran Consiglio أو Maggior Consiglio ويتكون من الكل وقسمناه بعضو في سنوات الفترة الخامس عشر السابق ، أو راء عضويته ليصبح لكي عضو فيه بلغ وكانت عضويات المجلس التي تحقق بعضوي كامل هذه الفترة مع رغبته الانضمام المجلس الأكبر يعقد عقد جلسة أخر هو مجلس السناتو Senato الذي يتكون من مائة وعشرين عضوا من الطبقات الراقية في الثروة ووظائفها السابقة. وفي عضوية السناتو تأسس سنة ١٣٤٠م مجلس العشرة Councle of Ten عقد جلسة وسلام مواطني الدقية من أي تجاوز في استخدام القوة. وكان المجلس الأكبر يجتمع عقد مرة كل شهر ، وتحت رؤساء الثلاثة Cappi الرئاسة شهريا. وأن عدد ذلك مجلس الكوليجيو Collegio الذي كان يشبه ما يطلق عليه اليوم مجلس الوزراء . ويبلغ عدد أعضاءه ستة Savii Grandi يدعوا الرئاسة فيما يعقدوا أسبوعا ، وكان الرئيس الأسبوعي لقاعة رئيس ودوره جمهورية الدقية . ومثل مجلس الكوليجيو فروع الحكومة الذي تم من خلاله كل الأمور العامة والتشريعية للثروة. وفي قاعة جلوه المشرفين عقد الدوج على رأس الثروة وكل عقد المؤسسات . ولكنه كان يحضر من الظروف دون دعوة ويصبح مجلس الكوليجيو الذي عرف كذلك بالمجلس الصغير Minor Consiglio أو مجلس السيورية Signoria وكانت أعضاء من أعضاء مجلس السيورية يستطيع أن تقوم وظائف الدوج في غيابه. ومثل لكل الوظائف السابقة كان الدوج يحضر بعقده عدد ثلاثة من بين الأراء أعضاء الثروة الثلاثة الأولى. ويشترط فيه أن يكون قد تولى عضوية مجلس من مجالس الحكومة ، وأن يكون قد حصل على أغلبية الأصوات في كافة مجالس الحكومة عن ذلك الحين.

John Julius Norwich, A history of Venice, published in Penguin Books, England, 1983, pp. 282 – 3).

(١١٠) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi p. 485.

(١١١) Ibid., vol. vi . p. 515.

(١١٢) Ibid., vol. . . . p. 542.



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

يختلفان في الترتيب والتعبير مما يظهرهما على أنهما خطابان مختلفان . والخطاب الأول بتاريخ الرابع من mazo سنة ٩١١هـ [١٠٩]. ولقد أشار إلى مبعوث بندقي إلى القاهرة يبدو أنه ألفيز ساجوندينو، على الرغم من أن الخطاب لم يسمه. وأهم ما احتواه الخطاب من نقاط هي: أن سعر الفلفل رُفع لأن التكلفة إرتفعت، وأن الشواني البندقية عليها ألا تغادر الإسكندرية تحت أية ظروف دون إذن رسمي. وأن المؤن لم تعط لسفينة بندقية في مناسبة واحدة بسبب إنتشار الطاعون على الأرض، وأنه لا يمكن التخلي عن الإتفاقات التجارية القانونية المعقودة. وأعلن السلطان أيضا في هذا الخطاب أنه أمر بكتابة مراسيم جديدة comandamenti لأجل التجارة البندقية في الإسكندرية ، والخطاب الثاني في جوهره كالخطاب الأول إلا أنه غير مؤرخ ، وفي كلا الخطابين لم تتم التوصية بتغري بردي لدي البندقية، بل أنه لم يذكر بهما [١١٠]. وبعد حوالي أسبوعين أستدعي تغري بردي لجلسة سرية مع دوج البندقية ليوناردو لوريدان ودار الحديث بينهما بالإيطالية تلك المرة . وفي الخامس العشرين من أكتوبر أستقبل تغري بردي ومعيته المكونة من الني عشرة فردا في المجلس الكبير Gran Consiglio، حيث أعطى أحد مرافقيه المسمى ألفيز أريموندو رواية عن تطور المباحثات تظهر إخفاقها بسبب عدم تفويض السلطان الغوري لتغري بردي بالسلطة اللازمة لتلبية بعض طلبات حكومة البندقية ، وأبرزها إصرارها على دفع ثمن الفلفل للسلطان بالنحاس [١١١].

(110) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p. 202.
(111) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 516.
(111) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, pp. 516 – 7.

لوحة رقم (١١)

رسم من سنة ١٥٠٣م لدوج البندقية ليوناردو لوريدان

وإزاء تلك الصعوبة لم يجد تغري بردي والبندقية وسيلة سوى وضع مسودة بقائمة طلباتها وإرسالها في مذكرة تفسيرية للسلطان مع خاصكي من معية تغري بردي، برفقة أحد رجال حكومة البندقية ويدعى فرانسيسكو دا مونتي Francesco da Monte وهو من أصل شركسي cerchasso وكان يعمل ترجمانا في دمشق [١١٢].

وفي الحادي والعشرين من نوفمبر سنة ١٥٠٦م، رحل خاصكي تغري بردي ومعه فرانسيسكو دا مونتي إلى جزيرة كورفو Corfu في سفينة من نوع gripo خُصصت لهما بتوصية من مجلس الكوليجيو، ومن هناك أعطيا سفينة خفيفة حتى الإسكندرية التي وصلاها في فبراير سنة ١٥٠٧م. ورحل

(112) Marino Sanuto, Op. Cit., vol vii . pp. 213 - 4 .



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاصكي خطابا من تغري بردي، وكذا خطاب مجلس السنيوريا إلى السلطان وكان محتوما بالذهب [113].

وفي خطاب السنيوريا للسلطان تمت الإشارة لتغري بردي "بالرائع تغري بردي رسول سموكم" el magnifico Tangrebardi ambassador di vostra excelentia[114]. وحمل الخطاب للسلطان استغرابا كون "سفير مثل تغري بردي، رجل له سلطة وسمعة، وقريب من سموكم ، دون أن تكون له تلك الحرية ولا القدرة uno ambassador , come è questo Tangrebardi , homo de la autoritá e reputation l' è a presso la excelentia vostra , senza tal libertà nè potere [115].

وحمل دا مونتي معه إلى القاهرة وثيقتين ، لم يبق منهما سوى المفسرة فقط. ويتضح من رد الغوري عليهما في الأول من مارس سنة ١٥٠٧م / ٩١٢هـ، أنه أجرى بعض التنقيحات على مسودة قائمة الطلبات. إذ رأى أنه ليست هناك حاجة لإصدار مواد جديدة منظمة للعلاقة التجارية بين السلطنة والبندقية، وإنما التأكيد فقط على القواعد التقليدية. كما أعلن أنه أصدر أوامره بالفعل بالتأكيد على تلك القواعد. كذلك فقد وجد الغورى أن البنود المقترحة من جانب البندقية ضد العرف، وخالية من العدالة [116].

(113) Ibid., vol. vi. pp. 476, 496, 554; vol. vii. p. 214.
(114) Ibid., vol. vii . p. 212.
(115) Ibid., Loc. Cit.
(116) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 517.



وانتظارًا لوصول الرد السلطاني ذهب تغري بردي ومعه كل المسلمين في نظام وفي الأبهة المعتادة، ومصحوبا بمستول الخزانة لزيارة مجلس السنيوريا في صباح الثالث من مارس [117].

وفي التاسع عشر من مايو سنة ١٥٠٧ م وبعد غياب خمسة أشهر، وصلت إلى إستريا Istria السفينة الخفيفة التي تحمل الخاصكي المملوكي ومعه فرانسيسكو دا مونتي إلى البندقية، ومنها جاءا في قارب إلى البندقية. وحمل الخاصكي معه خطابا من السلطان ردا على خطاب حكومة البندقية إليه، فضلا عن الكثير من خطابات التجار. وفي اليوم التالي (العشرين من مايو) تم تسليم الخطاب لحكومة البندقية، ووصف مارينو سانوتو الخطاب بأنه خطابا جيدا أجاب على كل شئ [118].

وفي الخطاب وصف السلطان تغري بردي بقوله " سفيرنا nostro ambassador، الحصيف el prudente، العالم el savio، الأمير العظيم el magno armirajo، الأخلص el fidelissimo، الأكمل علما el perfetissimo in la sapientia، تغري بردي ترجماننا el nostro Tangriberdi, interpetre، حفظ الله شرفه Dio conserva el suo honor [119].

وبعد حوالى أسبوع من عودة خاصكي تغري بردي وسفير البندقية وتحديدا في الثامن والعشرين من مايو، وبحصول تغري بردي على تفويض واسع من السلطان، تم مناقشة الإتفاقية المتصلة بمسألة الإسكندرية مع تغري

(117) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p. 24.
(118) Ibid., vol. vii. p. 79.
(119) Ibid., vol. vii. p. 216 .



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

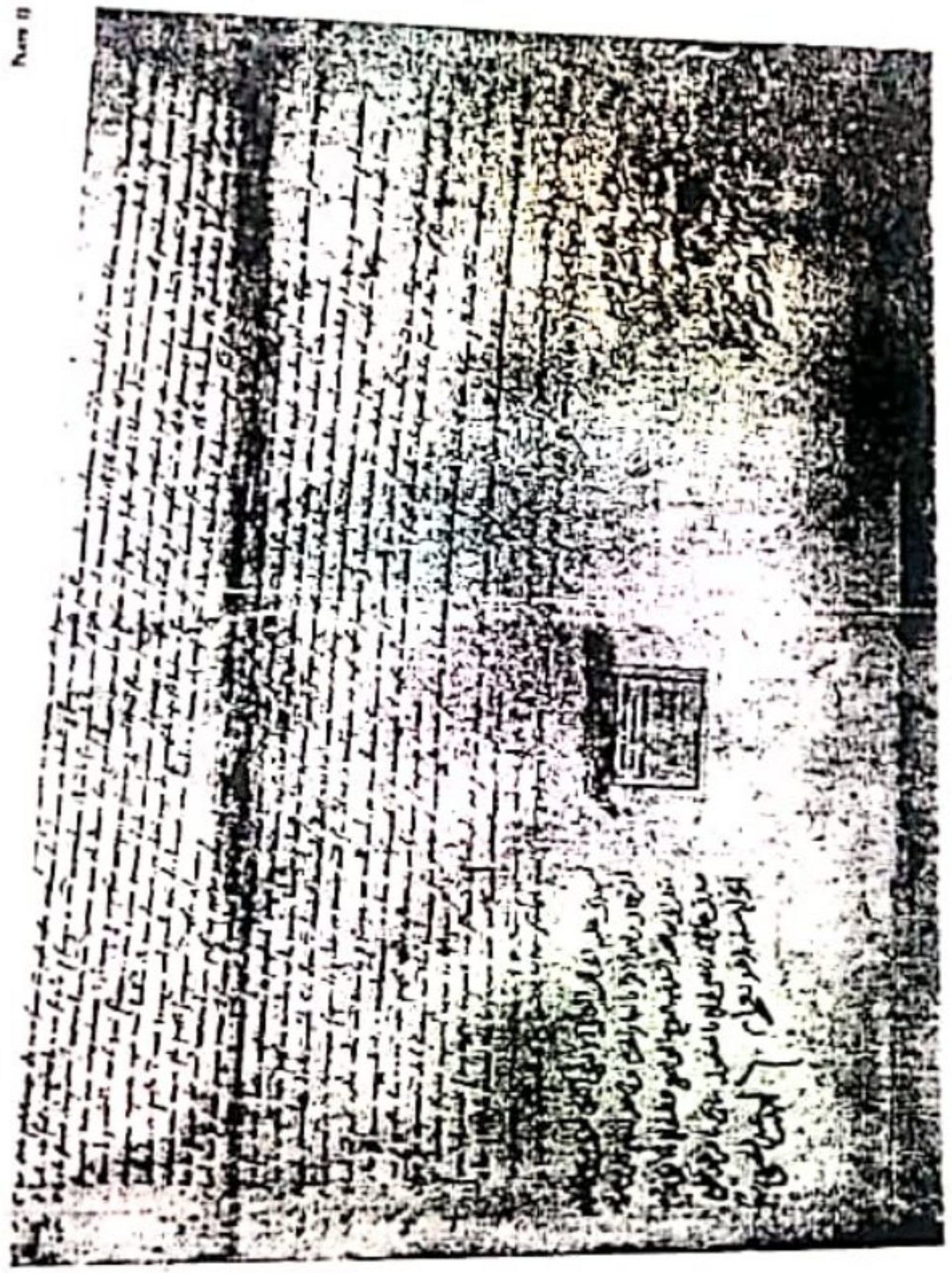

لوحة رقم (١٢)

صورة من المعاهدة الموقعة بين البندقية والمماليك ويظهر فيها توقيع تغري بردي عليها بالإيطالية والقابه التي أشار بها شهود الجانب المملوكي على الوثيقة

بردي بحضور نواب ضربة الكوتيمو السادة بيرو باليي ، وألفيز أريموندو، وألفيز دا مولين، والسيدين دونا مارزيلو Donà Marzello، وبنتو جابرييل Beneto Gabriel نواب ضربة الإسكندرية، وانتهى المجتمعون بالوصول إلى إتفاق مؤكد وحددوا موادة[١٢٠].

وفي الحادي والثلاثين من مايو ذهب تغري بردي إلى مجلس السنيوريا مصحوبا بنواب ضربة الكوتيمو الثلاثة السادة بيرو باليي، وألفيز أريموندو، وألفيز دا مولين لإبرام المعاهدة بصورة رسمية ونهائية [١٢١].

وكما يشير جون وانسبرو فمواد المعاهدة تقليدية وتمثل انتصارا بندقيا في كل نقطة منها، ويصعب بذلك تفهم وصف المصادر البندقية له بأنه كان معاديا للبندقية، وإنما على العكس من ذلك يمكن القول أن تغري بردي لم يخدم العوري جيدا كسفير له. أما بالنسبة لمصر فقد كانت السفارة فرصة لإعادة كتابة القواعد التي تحكم تجارة البندقية في الأراضي التابعة للسلطان[١٢٢].

ووثيقة المعاهدة مؤرخة بالحادي والثلاثين من مايو سنة ١٥٠٧م/الثامن عشر من المحرم لسنة ٩١٣هـ، وهي تتميز بتوقيع تغري بردي بالإيطالية بيده عليها.

(١٢٠) Ibid., vol. vii. p. 85.
(١٢١) Ibid., vol. vii . p. 86.
(١٢٢) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 518.

لوحة رقم (١٣)

مشهد لساحة القديس مرقص بالبندقية من القرن ١٦م

ولقد وصفته الوثيقة بأنه السيد الرائع تغري بردي سفير سلطان مصر
El Magnifico Tangreberdi orator del Serenissimo الى البلاط
Signor Soldan[١٢٣].

وعلى الرغم من أن المعاهدة وُقعت وأُشهد عليها في الحادي والثلاثين من مايو، إلا أن تغري بردي ومعيته لم يغادروا البندقية إلا في السادس والعشرين من يوليو سنة ١٥٠٧م، وليست هناك أية معلومات عن الكيفية التي أمضى بها تغري بردي وقته خلال تلك المدة. والمهم أنه في هذا التاريخ السادس والعشرين من يوليو ذهب تغري بردي لمجلس الكوليجيو، ومعه السيد ماريس دا مولين Marin da Molin الذي حصل على منصب قنصل البندقية في الإسكندرية لبطلب الإذن بالرحيل عائدا لمصر. ونزولا على طلبه أعطاه مجلس الكوليجيو الإذن بالرحيل مع سفارته بعد منحهم ألوان الشرف. حيث مُنح تغري بردي سترة مطرزة بالذهب ومبطنة بفرو القاقم كُلفتها ثلاثمائة دوكات، فضلا عن ألف دوكات من حساب ضرائب الكوتيمو. في حين مُنح الثين مِّن الخاصكية ملابس من المخمل الأخضر، وأُعطي ثمانية من معيته أقمشة من المخمل القرمزي، وستة أقمشة من المخمل الأخضر[١٢٤]. وتوجهوا عبر الساحة المسماة البيازا La piazza في حراسة حرس

(١٢٣) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, pp. 518 - 522.

(١٢٤) كان ثوب تغري بردي الذي مُنح له مطرزا بالذهب ومبطن بفرو السنجاب قد قيمته ثلاثمائة دوكات كما ذكر ماريو سانوتو، كما مُنح إثنين من الخاصكية ثوبين من القطيفة الحمراء، ومُنح ثمانية آخرين من معيته ألوان قطيفة قرمزية الثوب، في حين أعطى ستة آخرين ألوان حمراء الثوب. ولقد ذكر مارتن بومجارتن كما سبرى لاحقا أن تغري بردي وصل إلى القاهرة وهو يرتدي ثوبا منحه له دولة السذقة. وذكر ابن إياس كذلك فيما يعتبر ذي صلة بهذا الموضوع أنه قد تم مصادرة قماش تغري بردي أثناء الفترة التي تعرض فيها في نهاية حكمه بالبلاط المملوكي. انظر: ابن إياس، المصدر السابق، ج٤، ص ٢١٠. وكذلك:
Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 396. Cf. also: John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 518, note. (2).



وأبحرت السفارة المصرية في صحبة مارين دا مولين القنصل المنتخب للإسكندرية عائدة من البندقية للإسكندرية على متن احدى السفن التجارية بقيادة لوكا لوريدان Luca Loredan[١٢٦].

(١٢٥) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p.
(١٢٦) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p. 122; Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 386. Cf. also: John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 518.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجدير بالذكر في هذا المقام أن أحد خاصكية تغري بردي الذين قدموا معه للبندقية ودعاه المؤرخ البندقي مارينو سانوتو باسم جاكومو فورلان Jacomo Furlan ارتد عن الإسلام للمسيحية أثناء وجوده بالبندقية وبقي هناك ولم يعد مع السفارة لمصر، وخصصت له حكومة البندقية عشرة دوكات نفقة شهرية ، فضلا عن جوادين وخادم[١٢٧].

ويقدم لنا الألماني مارتن بومجارتن — الذي لحق بالسفينة التي أقلت تغري بردي للإسكندرية بداية من ميناء بولا Pola – مثالا لما كان تغري بردي يلقاه من ترحيب من ممثلي البندقية في الموانئ التي كانت السفينة تمر بها في قوله "وفي العاشر من أغسطس سنة ١٥٠٧م، وصلت إلى ميناء بولا السفينة التي تحمل تغري بردي، سفير سلطان مصر للبندقية، ولكنه لم يهبط للميناء على الفور. بيد أنه أستقبل استقبالا حافلا من حاكم المدينة الذي استضافه بصورة رائعة. فخارج المدينة كانت توجد شجرة قديمة فروعها عريضة جدا، بجوارها عين ماء طيبة. وفي ظل هذه الشجرة وُضعت مقاعد مغطاة بالحرير، وماندة مزدانة بأعداد ضخمة ومتنوعة من الأطباق المثيرة للعجب، إضافة لعدد ضخم من الخدم الذين كانوا واقفين لخدمة تغري بردي. وفي هذا المكان جلس تغري بردي، وجلست كذلك وصحبتي وبعض التجارالبنادقة الذين وجهت إليهم الدعوة. وبينما نحن نأكل ونشرب بكثرة من تلك العين الباردة أصبح الجو حارا جدا. ولكن نتيجة للإفراط في تناول العنب الأخضر أصبت أنا والكثير من المدعوين بحمى شديدة، ولم نشف منها إلا بصيام ثلاثة أيام متتابعة "[١٢٨].

(١٢٧) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p. 155.
(١٢٨) Martin Baumgarten, Op. Cit., pp. 386 – 7.



وفي الثالث عشر من أغسطس أبحرت السفينة المقلة لتغري بردي من ميناء بولا. وبمجرد إبحارها تعرضت لعاصفة هوجاء، وارتفعت الأمواج من حولها لدرجة غطت فيها مياه البحر ظهر السفينة وسحبت بعض الأشياء من فوقه لقاع البحر. وكانت العاصفة من القوة للدرجة التي ظن معها ركاب السفينة أنها النهاية. ولكن الرياح ما لبثت أن هدأت لتواصل السفينة طريقها إلى الإسكندرية[١٢٩].

وفي العشرين من أغسطس وصلت السفينة لجزيرة كورفو حيث نزل ركابها للتجول وتزويد أنفسهم بالمؤن، ثم أبحروا منها في اليوم التالي الحادي والعشرين من أغسطس. وكانت وقفة السفينة التالية في جزيرة كريت التي حلوا بها في التاسع والعشرين من أغسطس، ليغادروها في الثاني من سبتمبر بعد أن تزودوا منها بحاجياتهم[١٣٠].

ويصف مارتن بومجارتن وصول تغري بردي للإسكندرية بعد مغادرته للبندقية بحوالي شهر ونصف بقوله "في العاشر من سبتمبر سنة ١٥٠٧م، هبط تغري بردي سفير السلطان الذي قدم معنا من البندقية إلى شاطئ الإسكندرية. ولقد احتشد جميع رجال المدينة لرؤيته وتقديم احتراماتهم إليه. كذلك كان في انتظاره حاكم المدينة مع عدد ضخم من فرسان المماليك، وجمع كبير من قارعي الطبول والآلات الأخرى التي كانوا يحدثون بها ضوضاء كبيرة احتفاء بوصوله بشكل مهيب. وكان في انتظاره كذلك قنصل البنادقة في الإسكندرية الذي أعد لاستقباله عددا كبيرا من القوارب المزدانة بالأعلام والطبول. وإلى جانب ذلك.حيث كل السفن الموجودة في الميناء تغري بردي بإطلاق المدافع.

(١٢٩) Ibid., p. 387.
(١٣٠) Ibid pp 388 – 90



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسحة ذلك امتلأ الجو بالضوضاء والنار والدخان، إضافة لصيحات حيرة تلك السفن»[١٣١].

وجاء مع تغري بردي — كما سبق القول — السيد مارين دا مولين ليعمل كقنصل جديد للسفقية بالإسكندرية، ولقد ذكر في خطاب له بتاريخ الأول من أكتوبر أنهم وصلوا للمدينة في التاسع من سبتمبر على متن السفينة التجارية، وأن تغري بردي هبط من السفينة مرتديا ملابس من الذهب، وكان هو برفقته فالقي بعي القنصل تكريما كبيرا من المصريين. وأن السلطان أرسل لهذا الغرض ثلاثة خطابات أحدها لأمير الإسكندرية الذي أحسن مرافقة القنصل، والثاني لتغري بردي يمتدحه فيه، والثالث للقنصل يخبره فيه أنه أمر بتسهيل جيدة له في البلاد، وبهنيه بسلامة الوصول[١٣٢].

وفي الإسكندرية أقام تغري بردي مدة أسبوعين قبل أن يتوجه للمقر السلطاني في القاهرة. وهو ما يذكره مارتن بوجارتن بقوله «وفي الرابع والعشرين من سبتمبر حملت أمتعة تغري بردي وزوجتيه اللتين رافقتاه طويلا في سفينة، ومماليكه في سفينة أخرى. وفي اليوم التالي توجهت السفينتان إلى القاهرة»[١٣٣].

وكل ليلة وكما يضيف مارتن بوجارتن كان يُشعل من أجل تغري بردي عددا كبيرا جدا من المصابيح على شكل هرم، ويُربط العديد من الأجراس الصغيرة بأشرعة السفينة. وكانت الأجراس تُحدث نوعا من الأصوات الجميلة الخفية للأذن عندما تحركها الرياح. في حين كان مماليكه يطلقون من السفينة

(١٣١) Ibid., p. 391.
(١٣٢) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. pp. 178, 182.
(١٣٣) Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 394.



الأخرى نوعا من السهام المشتعلة في الهواء تشبه النجوم المتلألئة أو المتساقطة»[١٣٤].

وبعد أسبوع «وفي الثلاثين من سبتمبر، وصل تغري بردي إلى القاهرة مرتديا ثوبا منحته له دولة السفقية. وكان في انتظاره عددا ضخما من المماليك الذين أوصلوه إلى بيته في حالة من العظمة»[١٣٥].

ويكمل مارتن بوجارتن وصفه لإستقبال تغري بردي باستعراض ماقوبل به في قصره لدى عودته بقوله «وعلى السجاد الفاخر وضعوا مائتين وستين طبقا كبيرا مملوءا بأغلى اللحوم المنوعة. وكان كل ضيف من ضيوفه يتذوق القليل من الطعام، ثم يهبض ويستأذنه بالرحيل عقب قمته. وكان جميعهم يذهبون ليوقم وهم شاكرين وعارفين له. وبعد هذا النهمت المائدة على أيدي حشد من الفقراء الذين سُمح لهم بتناولها. وتلى ذلك قدوم علية القوم عليه لتحيته، ومن بينهم الخليفة — وهو بمثابة البابا عندهم — وكان يرتدي ملابس بيضاء ويضع تاجا على رأسه ويلتحي بلحية طويلة سوداء. وقدم الخليفة في عدد كبير من حاشيته في موكب عظيم ليرحب بدوره بتغري بردي الذي استقبله بمنتهى التكريم»[١٣٦].

وكيفما كان الأمر، فعقب عودة تغري بردي من سفارته ووصوله للقاهرة أورد إبن إياس أنه في جمادي الأولى سنة ٩١٣هـ (الموافق سبتمبر سنة ١٥٠٧م)، «حضر تغري بردي الترجمان، وكان توجه إلى بلاد الفرنج وأقام بها نحوا من سنتين، فلما حضر أخلع عليه السلطان وأقره على وظيفته»[١٣٧].

(١٣٤) Ibid., pp. 394 – 5.
(١٣٥) Ibid., p. 396.
(١٣٦) Ibid Loc. Cit.

(١٣٧) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٠.

يبقى القول بشأن سفارة تغري بردي إلى أوروبا أنها لم تقتصر على مهمة التفاوض مع الفرسان الإستبارية والكثلكة فحسب، وإنما يبدو كذلك أن السلطان الغوري أوكل إليه مهمة التفاوض مع جمهورية فلورنسا بشأن العلاقات التجارية بين الدولتين. بيد أنه من المرجح عدم قيامه بزيارة فلورنسا بنفسه، وإنما وأثناء وجوده في البندقية – وقبل الثالث عشر من أبريل سنة ١٥٠٧م – قام بزيارته مجموعة من التجار الفلورنسيين، وهو ما يستدل عليه من خطاب أرسلته جمهورية فلورنسا إلى السلطان الغوري بهذا التاريخ تشكره فيه على قيام سفيره تغري بردي بتقديم أمان مرور لتجار فلورنسا، أو بنص الخطاب" نحن نتفهم الاستعداد الطيب للرائع تغري بردي سفير وترجمان عظمة حلالتكم في السندقية نحونا ونحو كل أمتنا الذين يذهبون بتجارهم في بلد عظمة حلالتكم... ونقبل طواعية العطايا والمزايا التي مُنحت بواسطة السيد الرائع تغري بردي ترجمانكم"

**Havendo facto intendere el magnifico Tanghalavardi , ambasciatore et turcimano della gloriosissima maesta vostra a Venetia , la buona dispositione sua verso di noi et di tutta la natione nostra che usassino con le mercantie loro el paese della gloriosissima maesta vostra ... habbiamo volentieri acceptato il dono et beneficio che quella ne ha conferito per mezzo del prefato magnifico Tanghalavardi oratore suo** (١٣٨)

(١٣٨) نشر ميخائيل أماري نص هذا الخطاب ضمن الوثائق التي نشرها بعنوان الوثائق العربية في أرشيف فلورنسا تحت رقم الوثيقة ٨٠ والواقع أنه لم يتاح لنا الرجوع إليها في تلك النسخة ، وإنما أمكننا الرجوع إليها بملاءمه في مقالة لجون وانسبرو بهذا الخصوص انظر

Michele Amari, Op. Cit., part 1, doc. No. 80, p. 387. Cf also: Jhon Wansbrough, The Safe – Conduct, pp. 23 – 4.



ويستدل من الخطاب أن مباحثات تغري بردي مع الوفد الفلورنسي تركزت في حصولهم على حق التجارة في أراضي السلطان. ومن المؤكد أن تغري بردي كان مخولا من قبل السلطان الغوري بمنحهم هذا الأمان دون الرجوع إليه على عكس ما فعل مع السادقة، وهو ما يظهر بوضوح من الخطاب السابق، فضلا عن نص أمان أصدره ضم السلطان بتاريخ الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة ٩١٣هـ، الموافق التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٥٠٧م بعد حوالي خمسين يوما من رجوع تغري بردي للإسكندرية قادما من سفارته للبندقية ، وشهرا تقريبا من عودته للقاهرة كما سنرى لاحقا. وأكد نص ذلك المرسوم السلطاني على الأمان والميزات التي سبق وأن منحها سفيره تغري بردي لتجار فلورنسا (١٣٩).

## نهاية تغري بردي:

عقب عودته إلى القاهرة عاد تغري بردي لمركزه كترجمان أكبر للسلطان، غير أن سنوات خدمته الأخيرة في البلاط المملوكي تأثرت بشكل كبير بسفارته إلى أوروبا . ففي نوفمبر سنة ١٥٠٧م كتب السلطان الغوري إلى أندريا بونديمير **Andrea Bondimier** قائد شواني البندقية في الإسكندرية، يخبره بأنه سوف يُصدق على المعاهدة التي اتفق عليها تغري بردي في البندقية شريطة دفع الدين البندقي للخزانة السلطانية في الأول من مارس سنة ١٥٠٨م. وكرر تغري بردي مطلب سيده لقنصل البندقي الذي

(١٣٩) نشر ميخائيل أماري نص هذا الخطاب ضمن الوثائق التي نشرها بعنوان الوثائق العربية في أرشيف فلورنسا تحت رقم الوثيقة ٨١ والواقع أنه لم يتاح لنا الرجوع إليها في تلك النسخة، وإنما أمكننا الرجوع إليها بملاءمه في مقالة لجون وانسبرو بهذا الخصوص انظر

Michele Amari, Op Cit., part I, doc. No. 81, pp. 218 – 20. Cf. also: Jhon Wansbrough, The Safe – Conduct, pp . 21 – 2 .



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

إلى من الإسكندرية إلى القاهرة في شهر ديسمبر من هذا العام. وتقريبا وبعد قرابة عام آخر كتب القنصل السندقي ماريني دا مولين إلى مجلس مشايخ السندقية قائلا إن الأمر قد استقر بشكل مرضي بفضل جهود تغري بردي[١٤٠].

وفي أغسطس سنة ١٥٠٨م أشارت المصادر السندقية أن تغري بردي الذي وصفته بالمسدوح يسحو أمر القنصل – الذي كان محل خلاف بين السندقية والسلطنة – جيدا[١٤١]. وفي نفس الشهر نجد تغري بردي يصوغ خطابا للسلطان يلتمس فيه السندقية أن يمنح الأسطول السلطاني في دمياط لا تمثل أي تهديد للسندقية، وإنما هدفها نقل أخشاب وأشياء أخرى لصنع أسطول ضد البرتغاليين[١٤٢].

ويشهد العديد من الخطابات التي صاغها تغري بردي للسلطان الغوري لتحالف القوى الأوروبية على بقائه في منصبه. ولقد وُجهت هذه الخطابات إلى جمهورية فلورنسا بتاريخ الثامن والعشرين من جمادى الثانية ٩١٣هـ/ التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٥٠٧م، والرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٩١٥هـ/ الثاني من يوليو سنة ١٥٠٩م. وإلى السندقية في أغسطس سنة ١٥٠٨م، والرابع من مايو سنة ١٥١٠م. وإلى لويس الثاني عشر ملك فرنسا بتاريخ الرابع عشر من شعبان سنة ٩١٦هـ/ السادس عشر من نوفمبر سنة ١٥١٠م، وجميعها يهتم بتجارة الإسكندرية باستثناء واحدة[١٤٣].

ومن ملخص خطاب للسيد توما كونتاريني قنصل السندقية في الإسكندرية مؤرخ بالثالث من أبريل سنة ١٥١٠م/ الرابع من ذي الحجة

(140) John Wansbrough, Op. Cit., p. 511.
(141) Marino Sanuto, Op. Cit., tom. vii. p. 603.
(142) Marino Sanuto, Op. Cit., tom. vii. p. 608.
(143) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 511.



٩١٥هـ، يوضح القنصل أنه خلال مقابلة سرية له مع السلطان شكا الأخير من أن حكومة السندقية وأثناء سفارة تغري بردي التقت معه ووعدته بإرسال سفير مع كثير من الهدايا وأشياء أخرى إليه بغي السلطان. ولذا فقد خاطب القنصل حكومته لإرسال سفير مميز للسلطان. كما حذر القنصل حكومته من أن تغري بردي الذي يعرف كل شئ يلعب وظيفة الشيطان في جعل الأمور سيئة للسندقية perche Tangavardin , che cognosse tutti faria l' ofizio de diavolo in meter mal[١٤٤].

وحتى ذلك الحين كانت أحوال تغري بردي تسير سيرا عاديا في البلاط المملوكي. ففي خطاب صاغه تغري بردي للسلطان ووجهه بتاريخ الخامس والعشرين من المحرم لسنة ٩١٦هـ/ الرابع من مايو سنة ١٥١٠م إلى دوج السندقية بواسطة توما كونتاريني قنصل السندقية في الإسكندرية أشار السلطان إلى سفارة تغري بردي للسندقية، وتضمن الخطاب ألقاب تغري بردي العديدة كالأميري الكبير armiraglio grandissimo، الذخري favorido، الأوحدي unito، الأكملي compito، carissimo، arente de nui، السيفي spadatier، a presso de nui، عماد الملوك والسلاطين clonna dei re, di soldani، الأمير تغري بردي أحد أمراء العشرات Tangibardi armirajo, un de numero di x، الدوادار القاهرية turziman de، الترجمان بأبوابنا lanze in la terre del Cayero، الأشرفي laseraphi، nostra Porta، ودعاء بأن يحفظ الله زمنه الجميل Dio mantegna el suo bon tempo[١٤٥].

(144) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. xii. pp. 234 – 6.
(145) Ibid., vol. xi. p. 117.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن الأمور لم تلبث أن انقلبت رأسا على عقب بالنسبة لتغري بردي، ففي أغسطس من سنة ١٥١٠م/ جمادى الأولى - جمادى الثانية سنة ٩١٦هـ أطهرت عبارة: al Chajaro Tangavardin à pocha reputation ومفادها "وفي القاهرة تغري بردي في قليل من السمعة" التي جاءت على لسان مارين دا مولين القنصل السدقي المقاعد في الإسكندرية بعد عامين من الخدمة قضاها هناك منذ ذهب إليها قادما من البندقية مع تغري بردي، والتي أرسلها إلى مجلس سانتو البندقية، أطهرت تدهورا في ظروف تغري بردي في القاهرة[١٤٦].

وتفصيل ذلك أنه في صيف سنة ١٥١٠م، وقعت مجموعة من الحوادث التي جعلت السلطان الغوري يرتاب في الحكام الأوروبيين. وكانت أولها استيلاء إستارية رودس على عدة سفن فرنسية كان على متنها مسافرون مغاربة من أجل الحصول على فدية. وكذلك ايقاعهم بأسطول مملوكي كان الغوري قد أرسله إلى آسيا الصغرى بجلب أخشاب ومواد بناء أخرى كان السلطان العثماني بايزيد الثاني قد أمده بها. ولقد نجحوا في الإستيلاء على تلك الشحنة وأسر طواقم سفن الأسطول. وفي نفس الوقت وبالقرب من حلب قُبض على مبعوث سري من الشاه اسماعيل الصفوي وهو في طريقه إلى البندقية، حيث أكتشف أنه يحمل رسالة من الشاه يقترح فيها تحالفا عسكريا بين الحاكمين الصفوي والبندقي ضد الأتراك[١٤٧].

(١٤٦) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. xi. p. 75. Cf. also: John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 511

(١٤٧) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 511; Guglielmo Berchet, La Republica di Venezia e la Persia, Torino, 1865, pp. 26 -7; Guglielmo Berchet, La Republica di Venezia e la Persia, Nuovi Documenti e Regesti, Venezia , 1866, p 48; Maria Francesca Tiepolo, La Persia e La Repubblica di Venezia, Mostra di Documenti



دفع ذلك كله السلطان الغوري لاتخاذ إجراءات انتقامية ضد الأوروبيين فكما يذكر ابن إياس أنه في رجب سنة ٩١٦هـ (أكتوبر- نوفمبر سنة ١٥١٠م) "حضر إلى الأبواب الشريفة رهبان القيامة التي بالقدس، وكان السلطان أرسل حلفهم بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد بيك قريب السلطان وهو ما في المراكب التي جهزها السلطان صحبته، فلما وقفوا بين يدي السلطان وتحهم بالكلام على لسان تغري بردي الترجمان، وقال لهم كانوا ملوك الفرنج بأن يردوا ما أخذه الفرنج من المراكب والسلاح وإن لم يردوا ذلك هدمت القيامة وأشنق الرهبان، فتسلمهم ناظر الخاص على ما يحرر من أمرهم، وكانوا نحوا من عشرين راهبا، وفي عقيب ذلك قبض نائب الإسكندرية على جماعة من تجار الفرنج الذين كانوا بثغر الإسكندرية وبعث بهم إلى السلطان ، وكانوا نحوا من خمسين إنسانا"[١٤٨].

فضلا عن هذا، وفي العام التالي (١٥١١م)، استدعي السلطان الغوري قناصل البنادقة وتجارهم في الإسكندرية ودمشق للقاهرة حيث قبض عليهم ووضعهم في السجن [١٤٩].

ومع ذلك فقد كتب السيد دومينيجو سارلارجا Domenego Sparlarga في خطاب له من القاهرة في الأول من أبريل سنة ١٥١١م/ الثاني من المحرم سنة ٩١٧هـ أن جهود البندقية لحل مشكلتها مع السلطان بشأن اتصال الفرس بالبنادقة أعاقتها خبائث تغري بردي وبأنه العدو الرئيسي

=dell' Archivio di stato e della Biblioteca Marciana di Venezia, introduzione e catalogo a cura di Maria Francesa Tiepolo, Tehran, 1973, pp. 29 – 30 .

(١٤٨) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩٥.

(١٤٩) هايد: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٢. وانظر كذلك:

Maria Francesca Tiepolo, Op. Cit., p. 30.



CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

ولكن الأمور لم تلبث أن اتخذت رأسا على عقب بالنسبة لغري بردي. ففي أغسطس من سنة ١٥١٠م/ جمادى الأولى - جمادى الثانية سنة ٩١٦هـ أظهرت عبارة: **al Chajaro Tangavardin à pocha reputation** ومعناها "وفي القاهرة تغري بردي في قليل من السمعة" التي جاءت على لسان مارين دا مولين القنصل البندقي المتقاعد في الإسكندرية بعد عامين من الخدمة قضاها هناك منذ ذهب إليها قادما من البندقية مع تغري بردي، والتي أرسلها إلى مجلس سناتو البندقية، أظهرت تدهورا في ظروف تغري بردي في القاهرة[١٤٦].

وتتمثل ذلك أنه في صيف سنة ١٥١٠م، وقعت مجموعة من الحوادث التي جعلت السلطان الغوري يرتاب في الحكام الأوروبيين. وكانت أولها استيلاء إستاورية وودس على عدة سفن فرنسية كان على متنها مسافرون معاربة من أجل الحصول على فدية. وكذلك إيقافهم بأسطول مملوكي كان الغوري قد أرسله إلى آسيا الصغرى لجلب أخشاب ومواد بناء أخرى كان السلطان العثماني "بايزيد الثاني قد أمده بها. وتقد تحجوا في الإستيلاء على تلك الشحنة وأسر طواقم سفن الأسطول. وفي نفس الوقت وبالقرب من حلب قُبض على مبعوث سري من الشاه اسماعيل الصفوي وهو في طريقه إلى البندقية، حيث أكتشف أنه يحمل رسالة من الشاه يقترح فيها تحالفا عسكريا بين الحاكمين الصفوي والبندقي ضد الأتراك[١٤٧].

(١٤٦) Marino Sanuto, Op. Cit., vol xi, p. 75. Cf. also John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 511.

(١٤٧) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 511; Guglielmo Berchet, La Repubblica di Venezia e la Persia, Torino, 1865, pp. 26 -7; Guglielmo Berchet, La Repubblica di Venezia e la Persia, Nuovi Documenti e Regesti, Venezia, 1866, p. 48; Maria Francesca Tiepolo, La Persia e La Repubblica di Venezia, Mostra di Documenti



ودفع ذلك كله السلطان الغوري لاتخاذ إجراءات انتقامية ضد الأوروبيين فكما يذكر ابن إياس أنه في رجب سنة ٩١٦هـ (أكتوبر- نوفمبر سنة ١٥١٠م) "حصر إلى الأبواب الشريفة رهبان القيامة التي بالقدس، وكان السلطان أرسل حلفهم بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد بيك قريب السلطان وقتوا ما في المراكب التي جهزها السلطان صحبته، فلما وقفوا بين يدي السلطان وتحدثهم بالكلام على لسان تغري بردي الترجمان، وقال لهم كانوا ملوك الفرنج بأن يردوا ما أخذه الفرنج من المراكب والسلاح وإن لم يردوا ذلك هدمت القيامة وأشنق الرهبان، فسلمهم ناظر الخاص على ما تحرر من أمرهم، وكانوا نحوا من عشرين راهبا، وفي عقيب ذلك قبض نائب الإسكندرية على جماعة من تجار الفرنج الذين كانوا بثغر الإسكندرية وبعث بهم إلى السلطان، وكانوا نحوا من خمسين إنسانا"[١٤٨].

فضلا عن هذا، وفي العام التالي (١٥١١م)، استدعى السلطان الغوري قناصل البندقة وتجارهم في الإسكندرية ودمشق للقاهرة حيث قبض عليهم ووضعهم في السجن[١٤٩].

ومع ذلك فقد كتب السيد دومينجو سارلارجا **Domenego Sparlarga** في خطاب له من القاهرة في الأول من أبريل سنة ١٥١١م/ الثاني من المحرم سنة ٩١٧هـ أن جهود البندقية لحل مشكلتها مع السلطان بشأن القبض على الفرس بالبندقة أعاقتها حداثة تغري بردي وبأنه العدو الرئيسي

(١٤٨) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري الساعي، ج ٤، ص ١٩٥.

(١٤٩) المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٢. وانظر كذلك

Maria Francesca Tiepolo, Op. Cit., p. 30.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

li maligni Tamgavardin, turcimano nostro, capital inimicho. ويُظهر الخطاب أن تغري بردي كان لا يزال يقوم بالترجمة بين السلطان والسادقة حتى شهر فبراير سنة ١٥١١م / ذي القعدة سنة ٩١٦هـ[١٥٠].

وفي خطاب آخر بعث به من القاهرة السيد توما كونتاريني Thomà Contarini قنصل البندقية في الإسكندرية إلى أنطونيو مياني Antonio Miani دوق كانديا Candia البندقي بتاريخ الثالث عشر من مايو سنة ١٥١١م/ الرابع عشر من صفر سنة ٩١٧هـ ووصل إلى البندقية في يوليو من نفس العام ، يشير قنصل الإسكندرية إلى اظهار السلطان عداء مستمر للبندقية ، كما يصف تغري بردي بالقاسي والعدو el crudelissimo nemico Tangavavardi[١٥١].

وفي تلك الفترة أصبحت التقارير البندقية تُجمع على وصف عداء تغري بردي للبندقية. وأشار خطاب لقنصل البندقية في دمشق مؤرخ بشهر يونيو ١٥١١م/ ربيع الأول ٩١٧هـ لذلك بعبارة هذا العداء من تغري بردي quello inimicissimo de Tagavardin[١٥٢]. وزاد الأمر إلى حد وصف هذه الوثائق لتغري بردي باللص Tagavardi , ladro[١٥٣].

واقدم السادقة تغري بردي بالتهاز فرصة ضياع حظوة البندقة لدى السلطان لصالح فرنسا وأراجون، بإقناعه بأن الذي يملك مساعدته هو لويس الثاني عشر ملك فرنسا. وكتب تغري بردي الخطابات التي أرسلت إلى لويس

(150) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. xii p. 210
(151) Ibid., vol. xii p. 307.
(152) Ibid., vol. xii p. 237.
(153) Ibid., vol. xii p. 238.



الثاني عشر تطلب مساعدته في توقيع اتفاقية بين مقدم الاستارية والسلطان قنصوة الغوري. كذلك اقدمه السادقة بدعم جهود الفرنسي فيليب دو بيرتيز Philippe de Peretz تمثيل فرنسا في هذا الشأن. غير أن اختيار فيليب دو بيرتيز لتمثيل فرنسا، الأمة التي ينتمي إليها إتمري داموواز سيد الإستارية، سرعان ما جعله ومعه تغري بردي موضع شك السلطان[١٥٤].

ويؤكد مارينو سانوتو أن هذه الوساطة كانت السبب وراء خسارة تغري بردي لمكانته لدى السلطان[١٥٥]. فنتيجة لشكوك السلطان في تعاونه مع فيليب دو بيرتيز، وأن غرضهما كان حماية اهتمامات المقدم الأكبر للإستارية الذي رفض — في رسالة له سلمها تغري بردي للسلطان — إعادة الأسلاب التي استولت عليها جماعته، زالت حظوته عند السلطان الغوري، فقبض عليه هو وفيليب وأودعهما الحبس[١٥٦].

أما ابن إياس فيذكر رواية أخرى لما ألم بتغري بردي إذ يقول إنه في محرم سنة ٩١٧هـ (١٥١١م) "وفي يوم الأربعاء حادي عشره [الموافق العاشر من أبريل من سنة ١٥١١م] قبض السلطان على تغري بردي الترجمان ووضعه في الحديد ووكّل به، وأرسل ختم على بيته واحتاط على موجوده ورسّم على عياله، وسبب ذلك قد بلغ السلطان أن تغري بردي كاتب ملوك الفرنج بأحوال مملكة مصر، وأن السلطان ليس له همة إلى إرسال تجريدة، وأن السواحل خالية ليس بها مانع، وقد أحضروا إلى السلطان مكاتبات بخط تغري بردي بمعنى ذلك، فأحضر السلطان تغري بردي وأوقفه على تلك المطالعات،

(154) Charles Schefer, Op. Cit., Introduction, pp. Lv-Lix; John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 512.
(155) Marino Sanuto, Op. Cit., vol xii p. 308.
(156) Charles Schefer, Op. Cit., Introduction, p. Lvi; John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 512.



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

فانكر ذلك، فغضب عليه وشكّه في الحديد ووكّل به واحضر خيوله وقماشه، واستمر في الترسيم إلى الآن.»(١٥٧).

ولكن ملوك الفرنجة الذين ورد أمرهم عند ابن إياس هنا أمر ليس بالسهل التحقق منه . فقد وصلت إلى القاهرة سنة ١٥١٢م/ ٩١٨هـ، سفارات بندقية برئاسة دومينيكو تريفيزان Domenico Trevisan وفرنسية برئاسة أندريه لو روي André le Roy قابلها السلطان بالتشريف، ومنحها ميزات تجارية، وتولى الترجمة له خلالها نائب تغري بردي، وهو ترجمان يدعى يونس. ويتضح من هذا أن أيا من القوتين لم تكونا تفكران في الهجوم على مصر والشام، وبالتالي فهي ليست المعنية بعبارة ابن إياس.

ويبقى القول أن البندقية لم تكن مقتنعة بأن تغري بردي سيبقى بعيدا عن الخطوة لمدة طويلة. ولذا أصدرت تعليماتها إلى سفيرها دومينيكو تريفيزان بمحاولة وضع تغري بردي في وضع سيء. والواقع أن تريفيزان لم يكن بحاجة لتطبيق تلك التعليمات، ففي جلسة له مع السلطان الغوري في الثاني عشر من يونيو سنة ١٥١٢م/ السابع والعشرين سنة ٩١٨هـ، تحدث السلطان بإهانة عن تغري بردي، وأنكر اتفاقية سنة ١٥٠٧م(١٥٨).

وتفصيلا وكما يذكر مارينو سانوتو ففي تلك الجلسة العامة للسفير البندقي مع السلطان تحدث الأخير بغضب عن الإتصالات التي تمت بين الشاه إسماعيل الصفوي وبين البندقية، كما أعلن عن رغبته في اعادة صياغة بنود اتفاق السلطنة مع البندقية سنة ١٥٠٧م الذي صاغه تغري بردي، وبلغ الأمر

(١٥٧) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٩ ــ ٢١٠.
(١٥٨) انظر: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧.



بالسلطان إلى حد اتهام تغري بردي بكونه مجرما digando che Tangavardin era un ribaldo(١٥٩).

وبعد القبض على تغري بردي وأبنائه ــ ومصادرة منزله وأملاكه وكل ما يحوزته ــ بما يزيد عن العامين، وتحديدا في ربيع الآخر سنة ٩١٩هـ "وفي يوم الأحد تاسع عشرينه [الموافق الرابع من يوليو سنة ١٥١٣م] أراد السلطان بأن يظهر العدل بين الناس فجلس في شباك الأشرفية وأمر بعرض المحابيس الذين في الحبوس، فلما عرضوا عليه من في الحبوس الأربعة أمر بعرض من في البرج الذي بالقلعة ومن كان بالعرقانة التي بالخوش السلطاني، فلما عرضوا عليه أمر بإطلاق جماعة منهم ممن كان بالعرقانة وهم: الأمير تغري بردي الترجمان، والجمالي يوسف بن أبي أصبع الحلبي"(١٦٠).

ويذكر مارينو سانوتو بشأن اطلاق سراحه أن السلطان في تلك الأيام (أكتوبر ١٥١٣م/ شعبان ٩١٩هـ) كان يعاني من مرض في عينيه وكان لا يرى بإحدى عينيه جيدا، فأطلق سراح جميع السجناء، وفي البداية أطلق سراح تغري بردي الترجمان مقابل عشرة آلاف دوكات بشرط ألا يفرض نفسه في شئون الفرنج(١٦١).

وبهذا الشكل أطلق سراح تغري بردي بيد أنه لم يعد إلى سابق منصبه، إذ أنه وفي محرم سنة ٩٢٠هـ (فبراير – مارس ١٤١٥م) "أخلع السلطان على شخص من المماليك يقال له يونس وقرره ترجمانا عوضا عن تغري بردي الترجمان، وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين تغير خاطر السلطان على تغري

(١٥٩) Marino Sanuto, Op. Cit., vol. xv , pp. 199 – 200.
(١٦٠) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣١٦.
(١٦١) Marino Sanuto, Op. Cit., vol xvii, pp. 155 – 6.



CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

بردي كما تقدم ذكر ذلك، وكان يونس هذا قبل ذلك من جملة الزردكاشية (ملاحظي الأسطول)، ثم بقي نائب الترجمان ثم بقي ترجمانا كما كان تغري بردي»(١٦٢).

وهكذا يُظهر نص ابن إياس أن السلطان قنصوة الغوري قد أبقى منصب ترجمان السلطان شاغرا منذ أبعد عنه تغري بردي سنة ١٥١١م/ ٩١٧هـ، كما أنه لم يعده إليه بعد إطلاق سراحه من سجنه سنة ١٥١٣م/ ٩١٩هـ، بل واستمر المنصب شاغرا لمدة عامين إلى أن عُين فيه نائب تغري بردي المسمى يونس، وهو أمر يثير الدهشة والتساؤل ويضيف غموضا آخر يضاف إلى الغموض الذي أحاط بنهاية تغري بردي في البلاط السلطاني ودوافع الغوري من وراء ذلك الإبعاد لتغري بردي، وعدم شقه والاكتفاء بسجنه ثم إطلاق سراحه على الرغم من إلصاق تهمة خيانة الدولة به، والتي لو كانت مؤكدة لكان لدى الغوري كل الحق في قتله.

وخلاصة القول أن هناك اتجاهين يمكن لنا أن نتلمس في أحدهما أو كلاهما كشف ستر ما حدث لتغري بردي على يد السلطان الغوري. أولهما أن الحقيقة قد تكمن وراء وصف مارتن بوجارتن — الذي سبق عرضه — لعودة تغري بردي من سفارته، وهو الوصف الذي يظهر بوضوح مدى ما بات عليه تغري بردي من مكانة ليس فقط في البلاط المملوكي، وإنما في المجتمع ككل، ولدى القوى الأجنبية كذلك. وليس أدل على ذلك من بقائه في الإسكندرية مدة أسبوعين عقب وصوله إليها قادما من سفارته دون أن يبادر بالتوجه مباشرة إلى القاهرة ليقدم تقريرا عنها للسلطان الغوري وهو أمر

(١٦٢) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٦١ — ٣٦٢.



يثير الدهشة. ويُستخلص من ذلك أن ما آل إليه أمره في النهاية قد يكون مرجعه إلى زيادة نفوذه، مما رأى فيه السلطان الغوري تهديدا له، لاسيما وأن عرش السلطنة المملوكيه كان ميسرا لأي أمير يستطيع أن يصل إليه بقوته، ودفعه في النهاية للتخلص منه، بإلصاق تهمة الخيانة به. وقد يرجح ذلك القول عدم قيام الغوري بقتله والإكتفاء فقط بسجنه إتقاءًا لخطره، ثم إطلاق سراحه بعد أن أصبح لا حول له ولا قوة بعد تجريده من كل مناصبه وممتلكاته وأمواله ونفوذه.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فقد يسهل كشف هذا الغموض وتفسيره العرض لبعض آراء مجموعة من الأوروبيين عنه، وبخاصة أنهم هم من عايشوه لبعض الوقت عن قرب، وكانت كتاباتهم أبرز ما دون عن شخصه..وفي هذا الصدد أورد ميشولم بن مناحيم سنة ١٤٨١م، نصا يظهر مدى ما تمتع به تغري بردي من نفوذ فقال: "ولقد منحني مميزات عديدة، فلم أدفع أي ضريبة على الأحجار الكريمة التي اشتريتها من مصر، والتي كان الناس يدفعون عليها عشرة بالمائة. كذلك فقد كتب إلى ترجمان بيت المقدس، وأمره بألا يأخذ مني أي شئ مع أن العادة جرت بأن يأخذ ثلاث دوكات من كل حاج يهودي»(١٦٣).

أما فيلكس فابري فكان أول من قدم لنا صورة تحليلية لشخص تغري بردي حيث قال عنه: "ولقد قدم إلينا في ثياب الخجل ولكنه كان في جوهره ذئب مفترس»(١٦٤).

(163) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, Op. Cit., p. 166.
(164) Felix fabri, The book of the Wanderings, vol . ix, p. 148.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك فقد وصفه صائغ بلجيكي من مدينة مالينس Malines يسمى فرانسوا François — كان يقيم في القاهرة سنة ١٤٨٣م وذلك لبعض الأوروبيين الذين كانوا يزورون بقصر تغري بردي بقوله: "أيها السادة، أنتم في منزل رجل مخادع ومغتصب، وإذا أقمتم يوما أو أكثر في منزله فسوف تخرجون مسلوخون بالمخادعة"[١٦٥].

ومن اللافت للنظر أن تغري بردي كان شرها للمال، فروايات الأوروبيين عنه تشير إلى قبوله هدايا من بعضهم مقابل تذليل بعض أمورهم. فكما يقول جوس فان جيستيل فقد قدم له هو وصحبه جوهرة أحضروها من الندقية، ورجوه أن يقبلها دلالة على شكرهم. وطلبوا منه في المقابل مساعدتهم في مقابلة السلطان. فأجابهم لذلك كما أعطاهم فارورة من البلسم وكمية من الترياق. كذلك ذكر برنارد فون برايدينباخ سنة ١٤٨٣م، أنه ورفقته نفحوه مبلغا ضخما مقابل أن يسمح لهم بدخول حديقة البلسم السلطانية في قرية المطرية [١٦٦].

وكذلك، وفي الإسكندرية تردد مارتن بوجمارتن ورفقته من التجار على تغري بردي، وقدموا له خمسين قطعة ذهبية لكي يسافروا تحت حمايته في أمان إلى القاهرة. وحسب مارتن بوجمارتن فقد كان تغري بردي لطيفا معهم، ولكنه بدأ في تجاهلهم وإزدرائهم حالما وضع الذهب في جيبه[١٦٧].

فضلا عن هذا فلم يكن تغري بردي يتورع عن أخذ أموال بعض

(165) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 401 – 402.
(166) Joos van Ghistele, Op. Cit., p. 22 ; Bernard de Breydenbach, Op. Cit. p. 41 .
(167) Martin Baumgarten, Op. Cit., p. 393 .



الأوروبيين بحجة منحهم خطابات سلطانية لتسهيل تحركاتهم، أو أي حجة أخرى كتأجير قارب لنقلهم من القاهرة إلى مدينة مصرية أخرى[١٦٨].

ومن المدهش أن محاولة رشوة تغري بردي للحصول على معاونته في مختلف الأمور لم تقتصر على محاولات فردية من قبل بعض الأوروبيين، وإنما امتدت لتشمل محاولات رسمية من بعض القوى الأوروبية، كما يظهر جليا في تعليمات مجلس سناتو الندقية لمبعوله بينتو سانوتو للجوء إلى رشوة تغري بردي لضمان تعاونه في مهمته التي أسندها إليه المجلس أمام السلطان المملوكي سنة ١٥٠٢م [١٦٩]. مما يؤكد أن شهرة تغري بردي بهذا الشأن لم تكن خافية على أحد وكانت تؤكدها التقارير الرسمية الأوروبية.

ومن الأهمية بمكان الإشارة أيضا إلى أن تغري بردي كان يقوم بأفعال يصعب الحكم عليها هل تُعد خيانة منه لسادته من السلاطين المماليك، أم هي مجرد حنين منه لدينه وملته وجلدته السابقين. إذ يشير فيلكس فابري أنه شاهد في قصره مسيحي تحول للإسلام، ثم ارتد ثانية للمسيحية ولجأ إلى تغري بردي ليختبأ عنده حتى يجد مناسبة ليذهب فيها سرا إلى الإسكندرية بحثا عن سفينة يستطيع العودة بها إلى موطنه الأصلي قطالونيا. كذلك فقد شاهد أيضا مملوكا من أصل جنوي التقى مع تغري بردي على العودة إلى جنوة. ويحكي فيلكس فابري أن هذا المملوك بكى فرحا وأخذ في تقبيل الصليب ما أن شاهده هو وصحبه[١٧٠].

(168) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 513, 579, 593.
(169) John Wansbrough, A Mamluk Ambassador, p. 509.
(170) Félix Fabri, le Voyage en Egypte, pp. 413 – 4.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والواقع أنه يسهل تفسير قيام تغري بردي بمثل هذه الأعمال، وعدم تورعه عن كشفها للأوروبيين دون الخشية من أن يعلم بها السلطان المملوكي. والأمر بكشفه لنا بساطة بدرو مارتير دانجلاريا حين أورد على لسان تغري بردي أنه تحول للإسلام رغما عنه وأنه لا يزال مسيحيا كاثوليكيا يمارس شعائر المسيحية بصورة يومية، وأنه ينتهز الفرصة التي يستطيع فيها العودة للمسيحية والهرب إلى وطنه الأم[١٧١]. كما أضاف عنه بدرو مارتير دانجلاريا قوله إنه يحمل حب متقد لوطنه الأم haya en él aún el fervor del amor patrio[١٧٢].

ومما يلفت النظر بشأنه أيضا أن حبه الكامن لوطنه الأم أسبانيا جعله يتحدث بإعجاب عن ملكيها لدى السلطان الغوري أثناء سفارة بدرو مارتير دانجلاريا، الأمر الذي أثار الناس وكبار رجال الدولة عليه للدرجة التي هدد فيها بعض أمراء المماليك بقتل تغري بردي لأنه يتحدث بشكل حسن عن ملكين عدوين للمسلمين[١٧٣].

وهكذا يتضح مما أورده الأوروبيون عن تغري بردي أنه كان شخصا يتمتع بقدر من النفوذ في مصر، ولكنه كان في الوقت نفسه شخصا مخادعا محبا للمال يسعى للحصول عليه بأي وسيلة مشروعة كانت أم لا. ولقد شاعت شهرته بهذا الشأن بين الأوروبيين حتى بين السلطات الأوروبية التي لم تتردد أحيانا في رشوته لتسهيل أمور لها في مصر. كذلك فلم يكن يتورع عن القيام بأعمال لمساعدة أفراد من الأوروبيين أقل ما يقال عنها أنها تعد بمثابة خيانة

(١٧١) انظر الملحق رقم (٦) بآخر البحث

(١٧٢) Pedro Mártir de Anglería, Op . Cit., pp. 94, 102.

(١٧٣) حسين مؤنس، الموجع السابق، ص ٤٧٢.



لسلطانه ومصره ودينه. وهكذا لم يكن ليصعب على شخصية مثل شخصية تغري بردي - إذا رغب - مخاطبة بعض القوى في أوروبا لكشف أسرار السلطنة المملوكية لها، وقبض المقابل للذلك.

ويبقى القول أننا لا نملك أية معلومات عن تغري بردي الترجمان بعد اطلاق سراحه. ولكن وكما يستخلص من رواية ابن إياس عن خروجه من سجنه فلم يتم إعادة منزله وممتلكاته وحاجياته إليه. ولا يعرف ماذا قدر له أن يفعله في سنوات عمره المتبقية. وماذا كان موقف العثمانيين منه عند دخولهم القاهرة بعد ذلك ببضعة سنوات معلنين نهاية حقبة زمنية وبداية حقبة زمنية جديدة.

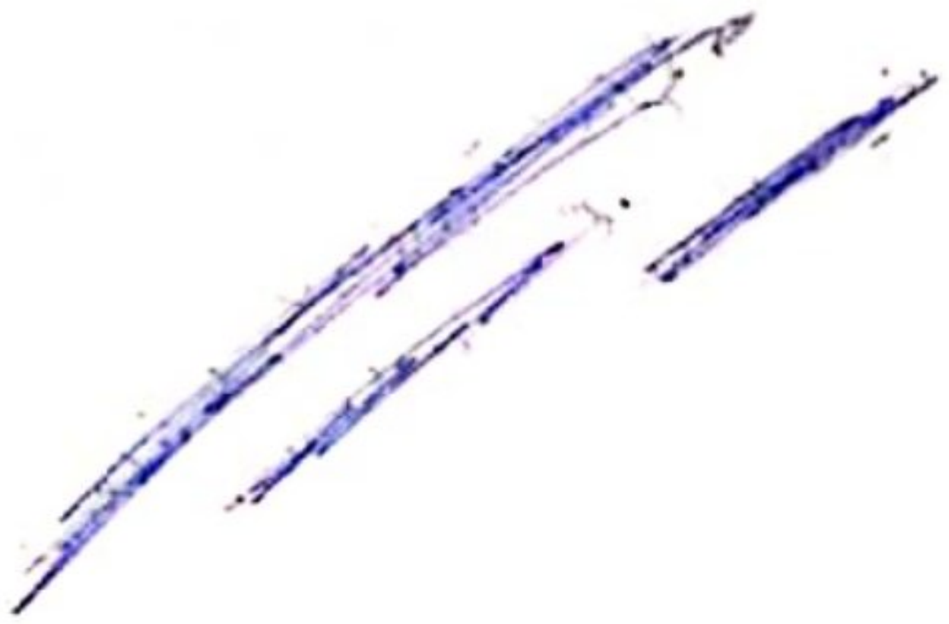



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

## خـــاتمـــة

وختاما فإن رحلة حياة ذلك الأوروبي المولد الذي هبط مصر وهو رحلا قد صاحبته التجارب والمعارف لا يمكن وضع بداية واضحة المعالم لها، إلا أنه بالإمكان تحديد نهاية دقيقة لها، وبتوسط ذلك وذاك مرحلة من الارتقاء لأعلى درجات النفوذ والسمعة داخل وخارج مصر أو بعض إحدى الروايات الأوروبية التي تحدثت عنه أنه أصبح رجلا عظيما ذا سطوة في وقت قصير

ويمكن القول أن القدرات الشخصية لبرى بردي وإلمامه حوالي تسع لغات ـــ بفضل نشأته الأوروبية ـــ منحته كلمة السر للنفاذ لدهاليز البلاط المملوكي، والترقي في سلمه، وتولي العديد من وظائفه كما هيأته لاحقا للعب دورا هاما وخطيرا في العلاقات الدبلوماسية الخارجية لسلطنة المماليك مع أوروبا وتلك المهام التي أسندت له آنذاك بعض مهام ورعاية الخارجية والتجارة الخارجية في عالم اليوم.

ومن المؤكد أنه إذا كان قد وصل لما وصل إليه من مكانة ونفوذ منذ أوائل ثمانينيات القرن الخامس عشر الميلادي، فلا بد وأنه قد دخل في خدمة السلاطين المماليك قبل ذلك بأعوام عديدة، لاسيما وأن روايات الأوروبيين عنه في السنوات المبكرة لعمله في البلاط المملوكي، تنبأ عن آراء قد ترسخت لديهم على مدى أعوام عديدة

ولا يدهش له أن ذلك الأمر برغم دوره البارز الذي لعبه في البلاط المملوكي وعلاقات المملوكية الأوروبية قرابة الثلاثين عاما، لم يحظ من المصادر العربية إلا بالتجاهل أو على أكثر تقدير ببعض السطور التي تكاد تعد على الأصابع وذلك على العكس من المصادر الأوروبية ولاسيما الإيطالية التي



اهتمت به تارة، وعدته ممثلة العدو الأول للمسيحية ونفوذها في أراضي السلطنة المملوكية تارة أخرى ومع ذلك اتصفت به تهمة الخيانة والتآمر على السلطنة لصالح القوى الأوروبية مما أدى لسهولة وجوده ودوره الفاعل على مسرح الأحداث.

ولعل اهتمام المسيحية لبرى بردي بالعداء لها وعدم الإشارة من بعيد أو قريب لكونه من أصل إيطالي، ما يدفعنا إلى ترجيح الرأي الآخر حول أصله والقائل بكونه من أصل يهودي أسباني وهو ما أكدته الوثائق الرسمية الأسبانية أو شبه الرسمية ممثلة في رواية السفير بدرو مارتير داخلاريا، وذلك على العكس من مثيلتها الإيطالية وهو ما يميل إلى ترجيحه ولاسيما أن أسبانيا شهدت في الفترة الأخيرة من القرن الخامس عشر حركة عداء شديدة واضطهاد لليهود دفعت الكثير منهم إلى الهجرة منها والتوجه على الشرق، وكانت مصر إحدى تلك الوجهات التي قصدها اليهود الأسبان .

كذلك فإن الصفات الشخصية التي اتسم بها لغوي بردي وأفعاله التي أشرنا إليها خلال صفحات البحث تدفع للاعتقاد بأنه لم يدخل في الإسلام عن اقتناع به وإنما بدافع المصلحة الشخصية لكي يسهل عليه دخول البلاط المملوكي والوصول لأعلى المناصب دون إثارة حفيظة من حول بسبب انتمائه الديني .

كذلك ومما يثير الدهشة بشأن تغرى بردي هو أنه على الرغم من أن كل الوظائف التي عهدت إليه كانت ذات صلة وثيقة بالأوروبيين، وعلى الرغم من أن المصادر الأوروبية مثلت المصادر الأساسية لما يُستقى عنه من معلومات، فإن هذه المصادر لم تقطع بأمر جازم بشأن أصله وديانته، ومن بين



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانها عدد كبير مما قدر لهم الإلتقاء به، بل والإقامة معه في منزل واحد ، ومع ذلك لم يستطع أيا منهم اختراق جدران تكتمه وتحفظه. الأمر الذي يؤكد أن هذا الرجل كان يحمل بين ضلوعه سر كبير لا يزال مجهولا حتى الآن دفعه للتمويه على بني جلدته من الأوروبيين.



## الملاحق

١- الملحق رقم (١):

ترجمة من الإنجليزية إلى العربية لأول إشارة لتغري بردي في المصادر الغربية كما جاءت في رواية الرحالة اليهودي ميشولم بن مناحيم سنة ١٤٨١م. انظر:

Meshullam Ben R . Menahem, Op. Cit., pp. 166 – 7, 173.

٢- الملحق رقم (٢):

ترجمة من الفرنسية إلى العربية لوصف لتغري بردي في الثامن من أكتوبر سنة ١٤٨٣م بواسطة صانع أوروبي مقيم بالقاهرة وأصله من مالبس . انظر :

Félix Fabri, Le Voyage en Egypt, pp. 401 – 4.

٣- الملحق رقم (٣):

ترجمة من الإنجليزية إلى العربية لرواية الرحالة الألماني مارتن بومجارتن سنة ١٥٠٧م عن أصل تغري بردي . انظر:

Martin Baumgarten, Op . Cit., 396 .

٤- الملحق رقم (٤):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لقسيمة باستلام الخزانة السلطانية المملوكية مبلغ أربعة آلاف من قيمة الجزية المفروضة على جزيرة قبرص بتاريخ الحادي عشر من مارس سنة ١٤٩٠م الموافق التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٨٩٥هـ، وذلك بحضور تغري بردي الترجمان. انظر الترجمة العربية لهذه الوثيقة في:



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ناجلا محمد عبد الغني المرجع السابق، ص ٣٣٥ وكذلك الأصل بالإيطالية القديمة في

Mas Latrie, M. L. De, Op. Cit., t. iii. p. 481.

٥- الملحق رقم (٥):

ترجمة من الإسبانية القديمة إلى العربية خطاب من فرديناند وإيزابلا ملكي أسبانيا بتاريخ الثامن من أغسطس سنة ١٥٠١م إلى تعزي بردي الخازندار العام لسلطان مصر، لدعم بدرو مارتير داخلاريا سفيرهما إلى السلطان الغوري. انظر:

Antonio De La Torre, Op. Cit., pp . 449 - 450 .

٦- الملحق رقم (٦):

ترجمة من الإسبانية إلى العربية لرواية السفير الإسباني بدرو مارتير داخلاريا عن اللقاء الذي تم بينه وبين تعري بردي سنة ١٥٠٢م. وعما دار بينهما من حوار عن أصل النابي، وكيفية وصوله لمكانه في البلاط المملوكي انظر

Pedro Mártir de Angleria , Op. Cit., pp. 92, 94 .

٧- الملحق رقم (٧):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريبو سانوتو عن بدء تعري بردي لسفارته إلى البندقية سنة ١٥٠٦م انظر

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi. p. 354.



٨- الملحق رقم (٨):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريبو سانوتو عن وصول تعري بردي إلى قبرص في السادس من مايو سنة ١٥٠٦م انظر:

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi. p. 356.

٩- الملحق رقم (٩):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريبو سانوتو عن أصل تعري بردي ووصوله إلى البندقية في السابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٠٦م. انظر:

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi. pp. 419 - 20.

١٠- الملحق رقم (١٠):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريبو سانوتو عن المقابلة الأولى بين تعري بردي ودوج البندقية في العشرين من سبتمبر سنة ١٥٠٦م. انظر:

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vi. pp . 424 - 5.

١١- الملحق رقم (١١):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريبو عن حصول تعري بردي في السادس والعشرين من يوليو سنة ١٥٠٧م على إذن مجلس الكوليجيو بالعودة من البندقية إلى الإسكندرية انظر

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p. 122.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢ – الملحق رقم (١٢):

ترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريو سانوتو عن تحول أحد جاسوسية تعري بردي من الإسلام للمسيحية، وفداته بالبندقية بعد انتهاء سفارة تعري بردي للمدينة. انظر:

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. vii. p. 155.

١٣ – الملحق رقم (١٣):

مرسوم من السلطان الغوري بتاريخ الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة ٩١٣هـ، الموافق التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٥٠٧م، يؤكد فيه على الأمان والمميزات التي سبق وأن منحها سفيره تعري بردي بتفويض منه لبحار فلورنسا. انظر:

Michele Amari, Op. Cit., part I , doc . No . 81 , pp . 218 – 20 .

ولقد أمكن الرجوع إليه نقلاً عنه في:

Jhon Wansbrough , The Safe – Conduct, pp. 21 – 2.

١٤ – الملحق رقم (١٤):

ترجمة عربية لألقاب تعري بردي كما وردت في خطاب دونه لمصري بردي للسلطان قنصوة الغوري لتوجيهه إلى دوح البندقية بتاريخ الخامس والعشرين من شهر المحرم سنة ٩١٦هـ/ الموافق سنة ١٥١٠م. انظر:

Marino Sanuto, Op. Cit., vol. xi. p. 116.

١٥ – الملحق رقم (١٥):

لترجمة من الإيطالية القديمة إلى العربية لرواية المؤرخ البندقي ماريو



سانوتو عن اطلاق سراح تعري بردي من سجنه في أكتوبر سنة ١٥١٣م

انظر:

Marino Sanuto, Op. Cit., vol . xvii. pp. 155 – 6.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملحق رقم (١)

شاهدت مصر (القاهرة) واستعلمت عن الناس لمعرفة أساليبهم، وإذا كنت قد كتبت ووصفت مجد وثراء المدينة ورخائها فلذلك الكتاب لم يكن لغير الغرض. وأقسم أنه إذا كان بالإمكان وضع مدن روما وميلان وبادوا وفلورنسا معا مع أربع مدن أخرى، فإن جميعهم لم يكونوا ليسعوا نصف ثروة وسكان مصر. وهذا حقيقي (فمصر) تنقسم إلى أربع وعشرين حيا سكنيا، بالإضافة إلى مصر القديمة، التي يدعوها أبناء البلد الفسطاط. وهي تجاور مصر الجديدة، والتي هي القاهرة، والتي هي على بعد نصف ميل منها، وأحيي يضم ثلاثين ألف أسرة. وفي البيت الواحد يوجد ثلاثة أو أربعة أفراد لكل أسرة، ومحيط مصر أكثر من ثمانين ميلا. وإذا سئلت عن أحد عما إذا كنت قد فحصت مصر أو أحصيت المنازل وكل هؤلاء الناس، فإني أكون قد خدعته. وسوف أحب وبالفردوس أقسم أن الترجمان الرئيسي للملك واسمه ساحري فاردي Sagri Vardi، أخبرني بنفسه كل ذلك. فقد أخبرني أن الرؤساء يحضرون إليه كل ليلة كتابة أعداد جميع المواليد والموتى في المدينة، وأستطيع أن آتي بشهود ثقات كانوا معي وقت أن أخبرني ذلك، وبخاصة السري رافايل رفيقي، والروي جوزيف من حيرفيه أشكنازي، الذين كانا في اللقاء. ولو سألتموني أصدقائي كيف أمكني أن أتدقق مع الترجمان، فقد ذهبت لزيارته بأوامر الماجد لأن الترجمان ينحدر من أصل يهودي، وأتى إلى مصر ليعود لليهودية، وهو إسباني، ولقد غير ذلك الرجل (تغري بردي) دينه وأصبح مسلما لكي يبقى حرا، وهو يعرف سبع لغات: العبرية، والإيطالية، والتركية، واليونانية، والعربية، والألمانية، والفرنسية. وهم يتحدثون التركية في البلاط السلطاني. ولقد قدم لي منافع وخيرات عديدة. إذ لم أدفع أي ... سنة على



الأحجار الكريمة التي اشتريتها في مصر، والتي كان الناس يدفعون عليها عشرة بالمائة. كما كتب كذلك إلى ترجمان بيت المقدس، وأعطى أوامر بألا يأخذوا أي شئ مني، مع أن اليهود يدفعون هناك ثلاث دوكات لكل منهم.

ولقد جعلني الماجد ألقى الإستحسان في عيني الترجمان الأعظم للسلطان الذي يدعى تغري بردي Tagri Vardi، والذي هو من أصل يهودي، كما قلت آنفا، وعندما سافرت من مصر إلى المدينة المقدسة بيت المقدس، كتب الترجمان خطابا لترجمان بيت المقدس، وكتب الماجد لنائب الماجد لصاحبي، وبذلك استقبلت هناك بكثير من التكريم، كما سأكتب عندما أتحدث عن بيت المقدس.

## الملحق رقم (٢)

وفي قصر تغري بردي قدم صانع يسمى فرانسوا وأخذ ينصحهم شريطة ألا يصل كلامه لسمع تغري بردي فقال لهم "أيها السادة – الحجاج – أنتم في منزل رجل مخادع ومغتصب، وإذا أقمتم يوما أو أكثر في منزله سوف تخرجون مسلوبين بالمخادعة" ولقد أعطى الحجاج صورة مربعة عن مضيفهم تغري بردي فقال لهم أنه كان يهودي المولد من صقلية وأصبح ريفي، ثم تحول للمسيحية، وتردد على المدارس وأصبح أستاذا للغة اللاتينية، وتعلم العلوم اللاهوتية، وانضم لفترة إلى الجماعات الرهبانية ثم تركها. وتحول بعد ذلك للإسلام، وتم تلقيبه في بلاط السلطان حيث أصبح ثريا ومملوكا قويا. ولقد اشترى من السلطان احتكار استقبال كل اليهود والمسيحيين الذين يأتون إلى أراضيه، ثم كان يسلخهم بالغش والمماكقة. وأصبح تغري بردي الآن ثريا بالوسائل المشروعة وغير المشروعة. وهو يجذب بنعومته مشاعر الحجاج لكي يستطيع بعد ذلك أخذ أموالهم. ولقد استطاع بواسطة أمواله التي اكتسبها بشكل غير سليم شراء قصره وزوجات جميلات.



## الملحق رقم (٣)

وتغري بردي هذا إسباني المولد، ثم تحول ليصبح مملوكا، وكان شماس كنيسة عندما كان يقيم في بلده، ولكنه بعد أن نذ المسيحية وتحول للإسلام أصبح عدوا وحاميا لكل المسيحيين الذين وجب أن يعيشوا في ممتلكات السلطان، وذلك على الرغم من ذلك الإرتداد عن دينهم؛ وفي وقت قصير أصبح رجل عظيم وصاحب سلطة. وكان كل المسيحيين يُستقبلون في منزله، وجرت العادة بأن يدفع كل تاجر قطعتين ذهبيتين له، وأن يدفع له كل شخص(أجنبي) يأتي من بعيد لزيارة الأماكن الدينية خمس قطع.

## الملحق رقم (٤)

إن ما وصل إلى خزانة السلطان العظيم من جهة صاحبة مملكة قبرص، ليحفظها الله ويطيل عمرها عن طريق البندقية، وعلى يد كل من زوان بورجي سكرتير الجمهورية وماركو ماليبيرو سفير قبرص ماهو إلا جزء من المبلغ المقرر دفعه عن عامين سابقين متأخرين على الجزيرة وهو المبلغ المتفق عليه في العقد المبرم مع المذكورين بعاليه، وتم ذلك بحضور تغري بردي الترجمان. ويصل المبلغ المدفوع ما بين أوان فضية وعملة بندقية إلى أربعة آلاف بندقي.

حرر هذا الإيصال في التاسع عشر من ربيع الثاني عام ٨٩٥هـ الموافق الحادي عشر من مارس سنة ١٤٩٠م.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملحق رقم (٥)

غرناطة في الثامن من أغسطس سنة ١٥٠١م

خطاب دعم — لصالح بدرو مارتير داخلاريسا — إلى تغري بردي التوجان العام لسلطان مصر.

ملك وملكة قشتالة ولاون وأراجون وصقلية وغرناطة إلخ.

تغري بردي، الترجمان العام للسلطان العظيم. نحن نوسل إلى السلطان العظيم بدرو مارتير — الأستاذ في الفنون الحرة وهو من أبنائنا الذين كبروا في قصرنا ومضوا في بلاطنا ...، وبشأن الأمور التي يقولها فالتالي ولأنك تتحدر من ممالكنا، فأنت تفهم برعايانا المسجين الذين يذهبون إلى تلك المناطق، وبنفس الطريقة نأمل أن تعمل من الآن فصاعدا — من خلال العلاقات الجيدة التي لك — ونطلب منك بكل الإيمان الدعم للمدعو بدرو مارتير، والنصيحة والمحاولة مع السلطان للوسالة الحسنة لكل الأمور.... الأمر الذي نحن نشكرك عليه كثيرا. من مدينة غرناطة، في الثامن من أغسطس سنة ١٥٠١م.

أنا الملك — أنا الملكة

السكرتير المسان



الملحق رقم (٦)

وفي الحال قدم الترجمان إلى السفينة ليراني، ولقد سألته واحدا عن يكون، ومن أي بلد، وكيف حضر لتلك الأرض، وكيف وصل لذلك المركز الذي وجدناه فيه. فقال أنه بالتأكيد كان طفلا لمواطن من مدينة فالنسيا اسمه لويس دو برات Luis de Prat، وُلد في مدينة مونبلانش Monblanch، وعاش بالقرب من مدينة فالنسيا، أما هو فقد عمل تجارا في تلك البحار في خدمة رباس بحري، واغرقت عاصفة وألقت إلى تلك السواحل كل الذين ذهبوا في سفينته. ووفقا لقوانين تلك البلاد يحور السلطان كل السفن التي تغرق بتلك السواحل، وتبعا لتلك القوانين والأعراف القديمة — وكما قال — سُلموا للحراسة مع طاقم السفينة وكل رجالها، وفوق ذلك كانت السفينة تعامل كسفينة قراصنة أو أي طبقة أخرى وليس كسفينة تجارية.

وكقوله وُضع لاحقا لمدة ثلاث سنوات في السجن، وبارتداء الأصفاد ومكرها من الجوع تخلى شفاهة عن المسيح، على أمل أن يستطيع الهرب يوما ما والعودة للوطن الأم... ومتحملا كقوله الحنان وفقا للتقليد المحمدي، والغير اسمه والتسمية بتغري بردي، وبالتفكير ملبا في كل هذا، حافظ مع ذلك في حياته الشخصية الروحيه على الإيمان الكاثوليكي وشرف ووقار المسيح، وصلى يوميا صلواته كالمعتاد. وقال أنه وصل للمركز الذي شغله بين هؤلاء المتورين بفضل جهوده وأعماله، وبعدئذ بالفعل صار واحدا منهم. وأصبح متفردا بين رجال السلطان الممتازين الذين يكسبون سبعة أو ثمانية آلاف درهما ذهبية



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملحق رقم (٧)

فقرة، وصلت خطابات من الإسكندرية وقبرص ، بأن ألفيز دي بيرو السكرتير الذي ذهب مع ساجودينو، كسب في السادس من مارس، من قبرص، إلى مجلس السنيوريا، بأنه قادم على متن الشانة التي يقودها السيد ماركو براجادين، مع ترجمان للسلطان اسمه تغري بردي، ومعه عشرين شخصا.

الملحق رقم (٨)

من قبرص، عدة خطابات، من السيد كريستوفال مورو، والسيد بولو أنطونيو مياني قائد فاماجوستا، ومن ألفيز دي بيرو السكرتير. وصل إلى هناك في السادس من مايو، على متن شانية يقودها السيد ماركو براجادين قادمة من الإسكندرية، سفير للسلطان هو تغري بردي الترجمان، ومعه عشرين شخصا من بينهم أربعة خاصكية، والذين من حملة الصولجان، وقد قدموا على نفقة ضريبة الكوتيمو.

الملحق رقم (٩)

في يوم السابع عشر، في الصباح، وصل إلى ميدان الليدو تغري بردي سفير السلطان مع معيته من الأشخاص...، وألفيز دي بيرو الذي كان سكرتيرا لألفيز ساجودينو سفير البندقية الذي مات في القاهرة، وكان على قيادة الشانية السيد فرانسيسكو باسكواليجو، وفي نفس الوقت السيد كوزما. وإزاء هذا أمر مجلس السنيوريا النواب النبلاء بالذهاب في الملابس الأرجوانية لميدان الليدو لاستقبالهم، واقتيدت الشانية أيضا حتى لاجيوديكا. ورافقه إلى هناك بعض الأشراف، الجزء الأكبر منهم من التجار الدمشقيين والسكندريين.

ولقد توجهوا مع السفينة عبر القنال الكبير حتى الصفة التي هبطوا إليها. وجهز المول بشكل مشرف، وبأغطية من الذهب، وزين القارب بالذهب كما زينت القوارب الأخرى، وذلك على نفقة ضريبة الكوتيمو. ولحب الملاحظة أن هذا السفير جاء إلى البندقية على نفقة ضريبة كوتيمو الإسكندرية! وهذا التغري بردي إسباني، وهو رجل سن، وعمره... سنة، وترجمان السلطان، وأمير أربعين حربة. ولم يخرج مجلس السنيوريا لإستقباله بالبوشنتورو.

الملحق رقم (١٠)

في صباح يوم الأحد ٢٠ سبتمبر، تم ارسال الأطباق مع النبلاء – الذين يرتدون حريرا أرجوانيا – المسمين النبل الفارس السيد بولو تريفيزان، والسيد الطبيب الفارس زوان بادوير، وعددها أربعين. وذهبا لتغري بردي سفير السلطان في لاجيوديكا في باسكواليجو ليصطحبوه إلى حلبة الإستماع. وتوجه تغري بردي للساحة يتقدمه اثنا وعشرين مسلم من بينهم خاصكي بيده acete وقاضيان، وذهبوا إلى مجلس السنيوريا. ولقد نهض الأمير من على كرسيه وتقدم قليلا وألقى التحية. ورد السفير التحية باللاتينية التي كان يعرفها، وقام بتقديم خطابين من السلطان. ولأن هذين الخطابين كانا غير مترجمين، فقد عُينت جلسة اجتماع أخرى، وقام الأمير بتحية السفير، ثم عاد بعد ذلك للمنزل، أما فيما يتعلق بهؤلاء من ضريبة الكوتيمو فقد خصصوا مائة وخمسين دوكات شهريا لنفقة السفير، وبالتأكيد هدايا من سكاكر وشموع عسلية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## الملحق رقم (١١)

في يوم السادس والعشرين ذهب لعزي سردي سفير السلطان إلى الكولنجو ليطلب تصريح بالرحيل وكان معه السيد إماريس دا مولين الذي حصل على منصب قنصل في الإسكندرية et quelli sora il cotimo .

ولقد منح سفيرة مطرزة بالذهب ومعطفة بفرو القاقم، ولكلفت السفيرة للألمانة دوكات، ومنح البين من الخاصكية ملابس من القطيفة الحمراء، وأعطي لمائة من معيته الفضة من قطيفة قرمزية، وستة قطيفة حمراء ثم ذهب محمود لوالده قرقة طول الدوح والآلات الموسيقية الأخرى خلال الساحة، وبعدئذ إلى البيت في la Zuecha وأعطي أيضا ألف دوكات بندقي من عوائد الكولنجو وذهب كذلك مع سفينة النقل، وكان سيدها لوكا لوريدان

## الملحق رقم (١٢)

وأعطي جاكومو فولان، الذي كان خاصكي، إجازة مع لعزي سردي سفير السلطان إلى هناك (بعني البندقية) وللعول للمسيحية. أعطي عشر دوكات شهريا طوعته، وجوائز وخادم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وان لا يُطالب الاب عن ابنه ولا الاخ عن اخيه
الا بمستند في الثغر السكندري او في ثغر من ثغور الإسلام
بمستند شرعي فيتقدموا باعتماد ما رسمنا به من ذلك على الحكم
المشروح اعلاه ويحضروا إلى ثغور مملكتنا الشريفة طيبين
القلب منشرحين الصدر آمنين على أنفسهم وأموالهم لا يمسّهم
ضرر ولا سوء فيعلموا ذلك ويعتمدوه والله الموفق بمنه وكرمه
ان شاء الله تعالي
في ثاني عشرين جماد آخرة المبارك
سنة ثلاث عشر وتسعمائة
حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وبالعالمين  وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلامه

نعم الوكيل
حسبنا الله تعالى
و
حر.



## الملحق رقم (١٤)

الأمير الكبير، الذخري، الأوحدي والأكملي، العزيز، ..... المقرب هنا، السيفي، عماد الملوك والسلاطين، الأمير، تغري بردي، أحد أمراء العشرات بالديار القاهرية، الترجمان بأبوابنا المقدسة والشريفة، ليحفظ الله زمنه الجميل.

## الملحق رقم (١٥)

في تلك الأيام كان السلطان يعاني من مرض في عينيه، وكان لا يرى بإحدي العينين جيدا ..... ولقد أطلق سراح جميع السجناء. وفي البداية أطلق سراح تغري بردي الترجمان مقابل عشرة آلاف دوكات بشرط ألا ....في شئون الفرنج.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا: المصادر العربية:


* ابن الشحنة (ت ٨٥٨- ٩٢٠هـ):

الدر الواهر في سيرة الملك الناصر "محمد بن قانصاي"، تحقيق الدكتور عبد السلام تدمري، بيروت (دار الكتاب العربي)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

* محمد بن أحمد بن اياس الحنفي (ت):

بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الجزء الرابع من سنة ٩٠٦ ــ ٩٢١هـ/ ١٥٠١ ــ ١٥١٥م، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر) ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م.


ثانيا:المصادر الأجنبية


(1) * *Arnold von Harff*,
The Pilgrimage of Arnold von Harff, Knight, from Cologne, through Italy, Syria, Egypt, Arabia, Ethiopia, Turky, France, and Spain, Which he Accomplished in the Year 1496 to 1499, translated from the German and edited with notes and an introduction by. Malcolm Lettes, F. S. A., London, 1946.

(2) * *Bernard de Breydenbach*,
Les Saintes Pérégrinations de Bernard de Breydenbach (1483), Texte et Traduction annotée par le Père F. Larrivaz S. J. Extraits relatifs à l' Égypte suivant l' edition de 1490, Le Caire, 1904.

(3) * *Felix fabri*,
1- The book of the Wanderings of Brother Flix Fabri, in Palestine Pilgrim 's Text Society, vols 7 – 10, reprinted from the edition of 1887 – 1897, U . S A, 1971.
2 - Le Voyage en Egypte de Félix Fabri, 1483, traduit du Latin et de l' Allemand par. le R. P. Jacques Masson S. J. et Gisèle Hurseaux, presenté et annoté par R. P. Jacques Masson S. J.,





Publication de l' Institut Français d' Archéologie Orientale du Caire , 1975.

(4) * *George Lengherand*,
Voyage de Georges Lengherand Mayeur de Mons en Haynaut, a Venise, Rome, Jerusalem, Mont Sinaï & Le Kayre, 1485-1486, avec Introduction, Notes, Glossaire, par. Le Marquis de Godefroy Ménilglaise, Mons, 1861.

(5) * *Joos van Ghistele*,
Voyage en Egypte de Joos van Ghistele 1482 – 3, traduction, introduction et notes de Renée Bauwens – Préaux. Publication de l' Institut Français d' Archéologie Orientale du Caire , 1976.

(6) * *Marino Sanudo*,
I diarii di Marino Sanudo, ed. R. Fulin, 58 Vols, Venice 1879. 1903.

(7) * *Martin Baumgarten*,
The Travels of Martin Baumgartin a Nobleman of Germany through Egypt, Arabia, Palestine and Syria in Three Books, N. D.

(8) * *Mas Latrie, M. L. De*,
Histoire de l'Ile de Chypre, t. iii, Paris, 1855.

(9) * *Meshullam Ben R . Menahem of Volterra*,
in. Jewish Travellers, edited with an introduction by. Elkan Nathan Adler, second edition with a preface by Cecile Roth, New York, 1966.

(10) * *Pedro Mártir de Angleria*,
Una Embajada de los Reyes Católicos a Egipto ( Segû la " Legatio Babylonica " y el " Opus Epistolarum " de Pedro Mártir de Angleria ), Traducción, Prologo y notas de Luis García y García, Valladolid, 1947.


ثالثا: المراجع العربية والمترجمة


* حسين مؤنس (دكتور):

سفارة بدرو مارتير دانجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين إلى الـ

الغوري (ديسمبر ١٥٠١م – فبراير ١٥٠٢م)، بحث منشور ضمن




CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ
CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مارس – أبريل ١٩٦٩م، جـ ١، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٧٠م

• سعد زغلول عبد الحميد (دكتور):

التراث والمجموعات التركية عند الكتاب العرب، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد العاشر، ١٩٥٦م.

• على السيد على محمود (دكتور):

التراجمة في عصر سلاطين المماليك، فصلة في مجلة التربية التي تصدرها اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ١٠٢، سبتمبر ١٩٩٢م.

• هايد:

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فوده، ج٣، ج٤، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٤م.

• لواحلا محمد عبد السمي (دكتورة):

العلاقات السياسية والاقتصادية بين السلطنة ومصر في عصر دولة المماليك الثانية (٣٨٢ – ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م – ٧٨٤)، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ١٩٨٤م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

① • *Antonio De La Torre,*

La embajada a Egipto de Pedro Mártir de Angeleria, in. Homenatge a Antoni Rubio i Lluch. Miscelània d' Estudis Literaris Historics i Linguistics, Barcelona, 1936.

② • *Etienne Comb,*

Pierre Martyre d'Anghiera et le Drogman du Sultan Ghauri (1502), dans. Bulletin de faculté des Lettres, Université d' alexandrie, tome. ii, 1944.



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

مجلة كلية الآداب